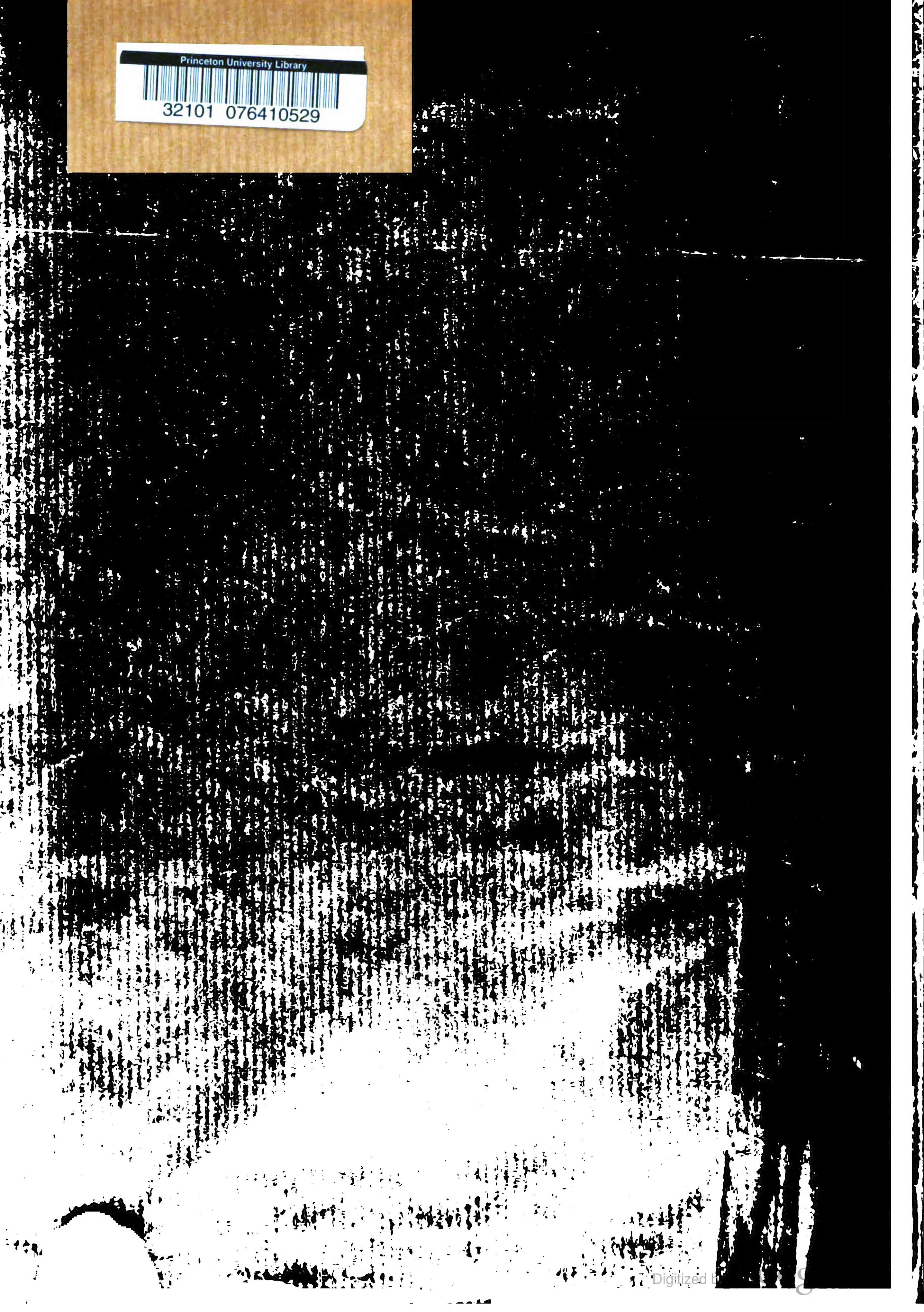
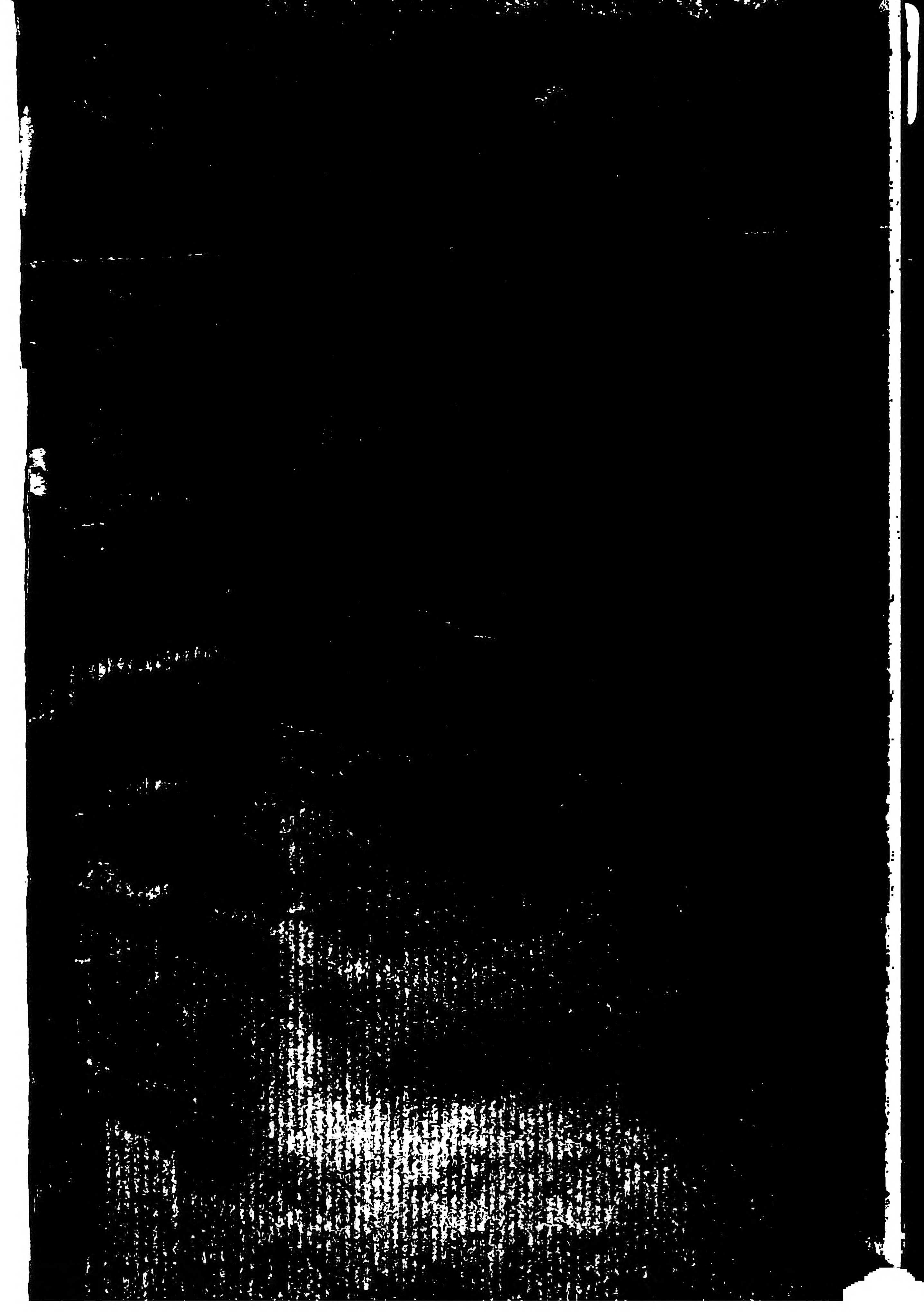
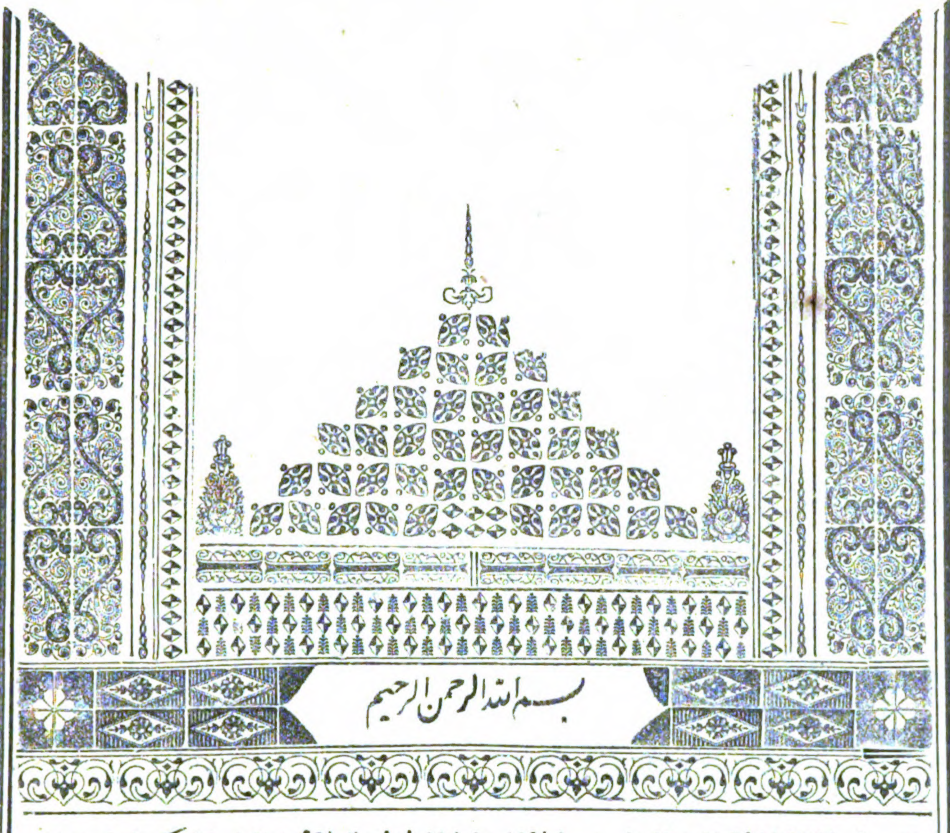






كتاب الدعوة التامه والتذكرة العامه تأليف
الشيخ الكبير والقطب الشهير العارف بالله
قدوة الكاملين ومربي السالكين
سيدنا الحبيب الشيخ عبد الله بن
علوى الحداد نفعنا
الله به وبعلومه
آمين

﴿ وبهامشه الرسالة المسماة بالمذاكرة للشيخ المذكور ﴾



ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم (الحمد لله) ذى الجلال والاكرام الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العلام الذى من علينا بان هدانا الى الايمان والاسلام وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس والأنام وبين لنا فى كتابه العزيز المبين على لسان رسوله الصادق الامين شرائع الدين من الحدود والاحكام ومناهج الحلال والحرام وميز لنا بين الحق والباطل والهدى والضلالة والطاعات والآثام فوضحت بذلك المحجة للسالكين المهتدين وقامت به الحجة على التاركين المعتدين وله سبحانه وتعالى النعمة السابغة والحجة البالغة على جميع العالمين من كل خاص وعام خلق الخلق لما يشاء واستعملهم فيما يشاء رحمة وفضلا وحكمة وعدلا ونوعهم فى ذلك وفى غيره من أحوالهم وأفعالهم وسيرهم وصورهم على أنواع وقسمهم فيه على أقسام ليدل بذلك على عظيم قدرته الباهره وعلمه المحيط ومشيئته القاهره وشؤنه الباطنة والظاهره وليس فى شئ من ذلك بجائر على عبيده ولا بظلام لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون خلق الجنة وخلق لها أهلا فهم بعمل أهل الجنة يعملون وخلق النار وخلق لها أهلا فهم بعمل أهل النار يعملون وهم فى جميع ذلك لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا وليسوا بذلك فى حال تقصيرهم عن القيام بحقه والامتثال لامره والوفى بعهده ولا فى ارتكاب نهيه والعمل بمعصيته بمعذورون مهما كانوا مختارين وغير مستكرهين ولا مقهورين ولا مجبورين وقد هلك المتنطعون والمتعمقون والمترخصون المحتجون على ربهم الذين قال فيهم عز من قائل ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون فله سبحانه الحول والطول والفضل والاحسان والمن والانعام وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله الذى أرسله رحمة للعالمين وختم به النبيين وجعله سيد المرسلين وأكرم السابقين واللاحقين وأول الشافعين المشفعين وعلى أهل بيته الطاهرين الكرام وعلى أصحابه الائمة الاعلام وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم البعث والقيام والحشر الى الله والحساب

والوزن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم (الحمد لله) رب العالمين الذى خلق الانسان من طين وجعل نسله من سلالة من ماء مهين وأخرج المؤمنين المتواصين بالحق والصبر من زمرة الخاسرين باستثنائه اياهم بعد أن حكم بالخسران نوع الانسان الذى هو سائر الآدميين وأمر عباده الذين آمنوا بالتعاون على البر والتقوى وأخبرهم أن أكرمهم عند الله أتقاهم وانه ولى المتقين وانه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه لا ليعمروا الدنيا ويجمعوا الأموال بل قد حذرهم ذلك على لسان رسوله الأمين القائل ما أوحى الى أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فاذا سعادة كل أحد وكماله فى التزام الأمر الذى لأجله خلق والذوب فيه والتفرغ له بقطع ما يمنع منه ويصد عنه من ترهات الحمقاء

والوزن والعبور على الجسر الذى تثبت عليه أقدام وتزل عنه أقدام يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار والسخط والانتقام وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام اللهم ان بك العياذ واللياذ والاستعانة والاعتصام نعوذ بك اللهم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن شر كل شيطان مارد وجبار معاند وباغ وحاسد ومن شر ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وأنت الرحيم الغفور تجير ولا يجار عليك ولا ملجأ منك الا اليك اللهم اهدنا بهداك واجعلنا ممن يسارع فى رضاك ولا تولنا وليا سواك ولا تجعلنا ممن خالف أمرك وعصاك وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا نعم المولى ونعم النصير لا اله الا هو الحى القيوم الذى تفرد بالقدم وتوحد بالبقاء والدوام ❊أما بعد❊ فهذا مؤلف مبارك ان شاء الله ومجموع جمعناه بعون الله ذكرنا فيه نبذا وأطرافا من النصائح والوصايا والآداب العلمية والعملية التى يتعين أو يتأكد الاخذ بها والاتصاف بحقائقها ومعانيها وقصدنا بذلك النصيحة والوصية والتأديب لأنفسنا ولاخواننا فى الدين من المؤمنين والمسلمين وفقنا الله واياهم لمرضاته وجعلنا واياهم ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ويشكره ويذكره ذكرا كثيرا ويسبحه بكرة وأصيلا والأعمال بالنيات ولكل امرء مانوى والمرء حيث قصده لا حيث جسمه وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون وقد قال عليه الصلاة والسلام ان الله لا ينظر الى صوركم واجسادكم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم الحديث وقال عليه الصلاة والسلام من غزى وهو لا ينوى الا عقالا فله مانوى وقال عليه الصلاة والسلام أكثر شهداء امتى أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته وقال عليه الصلاة والسلام ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم اللهم اجعل ما علمتناه حجة لنا ومحجة الى رضاك وجنتك ولا تجعله حجة علينا ولا سبيلا الى سخطك ولا الى النار التى هى دار عقوبتك اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من أحوال أهل النار ❊وقد سميناهذا التأليف كتاب الدعوة التامه والتذكرة العامه❊ ورتبناه على مقدمة وذكر ثمانية أصناف وخاتمة ❊ فاما المقدمة فنذكر فيها شرح الدعوة الى الله والى دينه وسبيله ❊ واما الاصناف فالصنف الاول العلماء والصنف الثانى أهل الزهد والعبادة والصنف الثالث أهل الملك والسلطنة ونحوهم والصنف الرابع أهل التجارات والصناعات ونحوهم والصنف الخامس أهل الفقر والضعف والمسكنة والصنف السادس الاتباع من الاولاد والنساء والمماليك والصنف السابع أهل الطاعة وأهل المعصية من العامه والصنف الثامن من لم يستجب لدعوة الله ورسوله ولم يؤمن بالله واليوم الآخر ❊ واما الخاتمة فيكاد تنعطف على نصيحة هؤلاء الاصناف الثمانية على وجه وجيز وعلى نصائح ومواعظ ورقائق وبتمامها يتم الكتاب والله هو الهادى الى الحق والصواب ومنه نسأل العون والتأييد ونستمد التوفيق والتسديد هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ❊ وهذا أوان الشروع فى المقصود وبالله الاستعانة وعليه البلاغ لا اله غيره ولا رب سواه ولا معبود ولا مقصود الا اياه وله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان أولا وآخرا وظاهرا وباطنا هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم

❊المقدمة من الكتاب❊

ونذكر فيها الدعوة الى الله تعالى والى دينه وسبيله والامر بذلك وفضله والحث عليه وفيها التنبيه على مسائل مهمة وفوائد جمة ❊ قال الله العلى العظيم القوى المتين فى كتابه العزيز المبين لرسوله

المغرورين وتمونسان الاغبياء البطالين وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين الذى أرسله رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وتابعهم باحسان الى يوم الدين (اما بعد) فان جماع الخير وملاكه تقوى الله فى السر والعلانية فى الغيب والشهادة والتقوى هى الخصلة التى تجمع لصاحبها خير الدنيا والآخرة ولعظم موقعها من الدين وجلالة قدرها عند العلماء الراسخين صدروا بها الخطب والمواعظ والوصايا ولكونها جامعة للخير كله اكتفى بذكرها فى الوصية الواجبة فى الخطبة وكثيرا ما يقتصر عليها الأكابر فى وصية من استوصاهم والتقوى وصية الله رب العالمين للاولين والآخرين قال الله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وفى الأمر بالتقوى قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الآية وقال سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته فقال تعالى فاتقوا الله ما استطعتم أى استفرغوا

الصادق الامين أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك
هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وقال تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة
أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وقال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل
صالحا وقال انني من المسلمين وقال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون فالدعاء الى الله والى سبيله ودينه وطاعته وصف الأنبياء
والمرسلين ودأبهم وبه وله بعثهم الله وأمرهم وأوصاهم وعليه حثهم وحرضهم وعلى ذلك اتبعهم واقتدى
بهم ورثتهم من العلماء العاملين والاولياء والصالحين من عباد الله المؤمنين فلم يزالوا على كل حال وفي
كل زمان وحين يدعون الناس الى سبيل الله وطاعته بأقوالهم وأفعالهم على غاية من التشمير والجد
في ذلك ابتغاء مرضات الله وشفقة على عباد الله ورغبة في ثواب الله واقتداء برسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد قال عليه الصلاة والسلام من دعى الى هدى كان له من الأجر مثل اجور من اتبعه لا ينقص
ذلك من أجورهم شيأ ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم
وقد قال عليه الصلاة والسلام الدال على الخير كفاعله * وما ورد من الآيات والأخبار والآثار في الأمر
بالدعاء الى الله والى سبيله وفي فضل ذلك كثيرة شهيرة وكما ورد في فضل نشر العلم وتعلمه وفي فضل
الوعظ والتذكير بل وفي فضل الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل ومندرج
في فضل الدعاء الى الله تعالى والى سبيله فان جميع ذلك من أنواعه وأقسامه ومن قصر عن الدعاء الى الله
والى دينه من المتأهلين له مع التمكن منه فانه داخل تحت عموم الوعيد الوارد في حق من كتم ما أنزل الله
من البينات والهدى وفي ذلك وعيد شديد وعذاب وبيل وذم من الله بليغ قال الله تعالى ان الذين
يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون وقال تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون
في بطونهم الا النار الى قوله تعالى فما أصبرهم على النار وقد أخذ الله المواثيق والعهود على الذين آتاهم
كتابه وعلمه وحكمته في ان يدعو عباده الى ذلك وليبينوه لهم كما قال تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار والسؤال بلسان
المقال ظاهر جلي ولا يبعد ان يكون السؤال بلسان الحال مثله أو قريبا منه وقد قيل لسان الحال أفصح من
لسان المقال فاذا رأى ونظر العالم بدين الله المذكر بأيام الله الداعي الى سبيل الله الى الجاهلين بالعلم
الغافلين عن الآخرة المقبلين على الدنيا لم يسعه الا أن يبين لهم ما يجب عليهم من حق الله ويلزمهم من طاعته
واقامة أمره واجتناب معصيته وركوب نهيه فأما العلماء المقصرون الذين قد غلب عليهم التفريط
والتخليط فليس يهمهم ذلك وربما لم يخطر لهم على بال لانهم قد شاركوا الجهال في الاضاعة والاهمال
وسيئ الاعمال والاقوال فليس يتميزون عليهم الا بصورة العلم ورسومه التي على ألسنتهم وظواهرهم
فليسوا أولئك من أئمة الهدى ولا من دعاة الخير ولا أدلة الطريق الى الله الملك العظيم بل قد يكون من يكون
هو السبب في جراءة العامة وتجاسرهم واسترسالهم فيما لا خير فيه من الاقوال والافعال التي تسخط الله
ورسوله وذلك ان العامة اذا رأوا المنسوبين الى العلم والدين يتهاونون ويتساهلون في اقامة أمر الله
وفرائضه ولا يسارعون في طاعته ربما حملهم ذلك على الاهمال والاضاعة لامور الدين بل ربما جازاهم
ذلك على الوقوع في المهلكات والجرائم الموبقات فصار العلماء الكائنون بهذه المثابة من دعاة الشر وأئمة
الضلالة من حيث يعلمون أو من حيث لا يعلمون فنعوذ بالله من الانعكاس والانتكاس ونسأله العافية
من كل محذور وبأس لنا ولأحبابنا وللمسلمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين ثم انه ليس يسع
أهل الحق والدين من العلماء الراسخين الناصحين لله ورسوله وللمسلمين بعد ما قد رأوا وشاهدوا بالعيان

الطاعة والامكان في ذلك لا
يكلف الله نفسا الا ما آتاها
والآيات في الأمر بالتقوى
كثيرة وقد جمع الله للمتقين
خيرات الدنيا والآخرة فمن
ذلك المخرج من الشدة
والرزق من حيث لا يحتسبون
قال الله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب ومنها الهدى
قال الله تعالى ذلك الكتاب
لا ريب فيه هدى للمتقين
ومنها العلم قال الله تعالى
واتقوا الله ويعلمكم الله ومنها
الفرقان والكفارة للسيآت
والمغفرة للذنوب قال الله
سبحانه وتعالى ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم
سيآتكم ويغفر لكم قال
بعض المفسرين يجعل لكم
فرقانا هداية في قلوبكم
تفرقون بها بين الحق
والباطل ومنها الولاية قال
الله تعالى والله ولي المتقين
ومنها المعية قال الله سبحانه
وتعالى واعلموا ان الله
مع المتقين أي بالنصر والدعاء
والحراسة ومنها النجاة قال
الله سبحانه وتعالى ثم ننجي
الذين اتقوا ومنها الوعد بالجنة
قال عز من قائل تلك الجنة
التي وعد المتقون ان للمتقين
عند ربهم جنات النعيم
وأزلفت الجنة للمتقين غير
بعيد الى غير ذلك من الخيرات

من اعراض العامة عن العلم والهدى وعن اقامة الامور الالهية والفرائض الدينية وركوب المحرمات الشرعية والرضى بالجهل بدلا عن العلم والضلالة عوضا عن الهدى والباطل خلفا عن الحق مع الانكباب على الشهوات والسعى فى نيل الحظوظ الفانيات وايثار الدنيا على الآخرة والرضى بما يذهب ويفنى عما يدوم ويبقى ان يسكتوا عن أمرهم ونصيحتهم واقامة أمر الله فيهم ودعوتهم الى الهدى والخير ونهيهم عن الشر والمنكر وان يبذلوا فى ذلك وسعهم واستطاعتهم ويستفرغوا فيه جهدهم وطاقتهم فان ذلك واجب عليهم اما على الاعيان واما على الكفاية ليس لهم فى ذلك عذر ولا فى تركه سعة وقد علمهم الله علمه واستحفظهم دينه واورثهم كتابه وسنة رسوله وقد قال عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم الحديث وفى خبر آخر علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل وكان يبعث فى بنى اسرائيل النبى بعد النبى مجددين لشريعة موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وداعين لهم الى اقامتها ومحرضين على العمل بها ومخوفين لهم من اضاعة أمر الله وركوب نهيه وذلك بوحى من الله يوحيه اليهم كما يعرف ذلك من نظر فى أخبارهم وقصصهم الى أن بعث الله عيسى بن مريم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بشريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام فكفر به بنو اسرائيل وكذبوه وبهتوا أمه عليهما السلام ثم وقعت الفترة بعد عيسى عليه السلام الى أن بعث الله عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم بالقرآن والشريعة الجامعة الناسخة لما تقدمها من الشرائع فكفرت به اليهود والنصارى وكذبوه الا من شاء الله منهم ولما جعل الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه خاتم النبيين والمرسلين فقال عز من قائل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما فختم به النبوة والرسالة وجعله كمالها وتمامها كما قد جعل به ابتداءها وافتتاحها جعل به انتهاءها واختتامها فليس بعده نبى ولا رسول جعل بفضله وجميل طوله وامتنانه من علماء امته الذين هم ورثته وخلفاؤه وحملة شريعته والائمة فى دينه من يشبه أنبياء بنى اسرائيل من بعض الوجوه أو من أكثرها وان كانت النبوة لا سبيل اليها ولا مطمع فيها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال والسبيل اليها مسدود وأيضا فالاكتساب والاجتهاد لا يوصل اليها ولا تنال به ولا فى الوقت الممكن وقوعها فيه ذلك من قبل بعث محمد صلوات الله عليه وقد ختم النبوة والرسالة به * فحيث كان الأمر على حسب ما قد علمت وسمعت جعل الله فى هذه الامة المحمدية الدعاة الى الهدى والمجددين لما اندرس من أعلام الدين وانطمس من معالم اليقين ووقع التقصير فيه والغفلة عنه من اقامة الاوامر الالهية والنواهى الشرعية والى ذلك اشير بما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يبعث لهذه الامة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة قال العلماء رحمة الله عليهم فكان على المائة الاولى الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الأموى القرشى رحمه الله وعلى رأس المائة الثانية الامام محمد بن ادريس الشافعى المطلبى رحمه الله وعلى رأس المائة الثالثة الامام ابن شريح الشافعى والشيخ أبو الحسن الأشعرى وعلى رأس المائة الرابعة القاضى أبو بكر الباقلانى المالكى أو الشيخ أبو حامد الأسفرانى الشافعى وعلى رأس المائة الخامسة الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالى ووقع الخلاف فى المجدد * وعلى رأس المائة السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة التى بتمامها يتم الألف من حين هجرته صلى الله عليه وسلم وبها وقع ابتداء التاريخ فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب باشارة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهما وكذا وقع اختلاف فى المجدد على رأس المائة الثالثة والمائة الرابعة كما أشرنا الى بعض ذلك * وذكر الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى كلام له على معنى هذا الخبر الوارد فيمن يجدد لهذه الامة دينها على رأس كل مائة سنة انه يحتمل ان يكون المجددون على رأس كل مائة سنة جماعة من العلماء الائمة يحصل بمجموعهم التجديد للدين وهذا الذى ذكره محتمل من حيث اللفظ والمعنى وحيث لم يذكر السلف الصالح فيمن قد عينوه وعرفوه لتجديد القرون الاول

الجميلة والفضائل الجليلة والمواهب الجزيلة ويكفى فى شرف التقوى ان الله ذكره فى أكثر من سبعين موضعا من كتابه وفى الأمر بالتقوى وفضيلته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقال عليه السلام أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى الحديث وقال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وكان عليه السلام يقول فى دعائه اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وقال عليه السلام لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربى على عجمى الا بتقوى الله أنتم من آدم وآدم من تراب وقيل يا رسول الله من أكرم الناس قال أتقاهم الحديث وروى انه عليه السلام قال لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى وقالت عائشة رضى الله عنها ما أعجب رسول الله شئ من الدنيا ولا أعجبه أحد الا أن يكون ذا تقى وقال على كرم الله وجهه انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ومعنى

سواء واحد على احتمال فيه او مع اختلاف فصار ما ذكره الحافظ السيوطي مما يتوقف فيه وقد طال العهد بالوقوف على ما ذكره والذي يظهر ويقع في الخاطر ان هذا حاصله والله هو العليم الخبير ويكون هذا التجديد من خواص هذه الامة المحمدية لكون نبيها لا نبي بعده ولا رسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وقد بلغنا انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي بموته شكت الأرض الى ربها أنه لا يمشي عليها بعده نبي فجعل الله في هذه الامة الأوتاد والأبدال وأمثالهم من أولياء الله وأهل معرفته الذين هم ورثة الأنبياء وخلفاؤهم حتى انه قد ورد أن منهم من قلبه على مثل قلب ابراهيم الخليل عليه السلام وغيره من أنبياء الله وملائكته عليهم السلام على وفق ما ورد في الأخبار والآثار الواردة في هذا الباب وفي الحديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفيه ليبعثن ابن مريم قوما من امتي هم مثل حواريه الخبر وفي كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه اللهم لا تخلو الارض من قائم لك بحجة اما ظاهر مشهور او خامل مقهور الى آخر ما روي عنه فدل ما ذكرناه وما لم نذكره مما في معناه على انه لا يزال في هذه الامة من يدعو الى الله والى سبيله واقامة دينه وحفظ أمره في كل زمان ومكان وان فسد الزمان وغلب الباطل وتظاهر أهل البغي والعدوان فان الدين مؤيد بتأييد الله وظاهر باظهار الله كما قال عز من قائل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون * ثم انه لا عذر للجاهل في ترك طلب ما فرض الله عليه من العلم كما قال صلوات الله عليه طلب العلم فريضة على كل مسلم ولا عذر لعالم في ترك تعليم ما علمه الله من العلم المفروض تعلمه اما على العين واما على الكفاية والعلم الذي في ذكره ونشره النفع للخاص والعام هو العلم الذي يدعو من الدنيا الى الآخرة ومن المعصية الى الطاعة ومن الغفلة الى اليقظة ويكون ذكر ذلك وايراده مقرونا بالوعظ والتذكير والتخويف والتحذير وبيان الوعد والوعيد وما أعد الله من أنواع المثوبات لأهل الطاعات والاحسان ومن أنواع العقوبات لأهل الاساءة والعصيان على نحو ما شرحه الله وبينه في آيات القرآن وعلى لسان رسوله المبعوث بالهدى والبيان فيحصل بذلك ترقق القلوب وتخشع وتنقاد النفوس وتخضع قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وفي حديث حنظلة رضي الله عنه حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم نكون عندك فتذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا رأي عين ما ينبه على ذلك فترى كتاب الله وسنة رسوله مشحونين بذكر الترغيب والترهيب والتبشير والتحذير في خلال الآيات والأحاديث التي فيها وشرح الأحكام وبيانها * وكانت مجالس العلماء العاملين والأئمة المهتدين معمورة بذلك وكان منهم جماعة يقعدون على الكراسي ويجتمع عليهم الجم الغفير من المسلمين فيعظونهم ويذكرونهم بأيام الله وبآلائه ويحثونهم على اقامة أوامره واجتناب نواهيه وكان الناس ينتفعون بذلك وتظهر عليهم الآثار المحمودة من الخوف والبكاء والمبادرة الى التوبة والرجوع الى الله وذلك معروف ومشهور من سيرهم سلفا وخلفا مثل الجنيد بن محمد سيد الطائفة في زمنه وابي حمزة البغدادي ويحيى بن معاذ الرازي من المتقدمين ومثل الامام الغزالي والشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني والشيخ السهروردي صاحب العوارف من المتأخرين وأمثال هؤلاء من أئمة الدين ودعاة الخير وأدلاء الطريق الى ان ضعف هذا الامر وقلت الدعوة الى الله فغلبت الغفلة على العامة واستولى عليهم الاعراض عن الآخرة والاقبال على الدنيا وزخارفها لقلة المذكرين والدعاة الى الله على البصيرة واليقين حتى صارت مجالس المنسوبين الى العلم والدين في مثل مجالس الغافلين المعرضين المشغوفين بحديث الدنيا وذكر أحوال أهلها فلذلك عم البلاء واستطال الداء وخرست ألسن المذكرين بالله وغلب الجهل والغفلة على عامة الناس حتى توهم من ليس له علم بأحوال من مضى من أهل الحق والهدى أن الشأن على مثل ذلك كان وهيهات هيهات ولامر كما قد ذهب وفات ذهب العلم بذهاب أهله

يهيج بهلك وقال قتادة مكتوب في التوراة اتق الله ومت حيث شئت وقال الأعمش من كان رأس ماله التقوى كلت الألسنة عن وصف ربحه وكان بشر الحافي ينشد شعرا

موت التقي حياة لا نفاد لها
قد مات قوم وهم في الناس أحياء

وفضل التقوى والمتقين أكثر من أن يحصر وقد بسط الكلام في التقوى الامام الغزالي في منهاجه وقد لخصنا من كلامه بعض ما ذكرناه

(فصل) قال الامام الغزالي التقوى في القرآن تطلق على ثلاثة معان أحدها بمعنى الخشية والهيبة والثاني بمعنى الطاعة والعبادة والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب وهذا هو الحقيقة انتهى مختصرا وعلى الجملة فالتقوى عبارة عن اتقاء سخط الله وعقابه بامتثال ما به أمر واجتناب ما عنه نهى وزجر وحقيقة التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك

(فصل) وقد علمت أولو القلوب السليمة والعقول المستقيمة أنهم يجزون ما يعملون ويحصدون ما يزرعون وكما يدينون يدانون

وذهاب الطالبين له والراغبين فيه وفى الحديث الصحيح ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض أهله حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا اذا سئلوا أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا فانظر كيف صار نطق هؤلاء الجهال المترسمين أضر على الناس من سكوتهم تعرف به فرقا بين علماء الدين هم ورثة الانبياء وأئمة الهدى وبين الجهال المتشبهين بهم والمترسمين برسومهم فى رأى العين وظواهر الأحوال هؤلاء ينفعون الناس بعلمهم ويهدون الناس بهديهم ويبينون للناس سبيل ربهم وما فيه فوزهم ونجاتهم فى معادهم ومعاشهم والآخرون يضلون الناس بفتواهم ويلبسون عليهم أمرهم وسيأتى فيما بعد مزيد شرح فى أحوال الجهال المترسمين المتشبهين بالعلماء فى ظواهر أحوالهم مع افلاسهم عن حقائق العلم والتقوى واخفاقهم من بضائع الدين والهدى من طوائف المغرورين الذين غرتهم الحياة الدنيا وغلب عليهم اتباع الهوى المشار اليه بقوله عز من قائل قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد ظهرت البدع والحوادث وفشت المنكرات واستولت الغفلة والاعراض عن الله وعن الدار الآخرة على الخاص والعام فلم يبق عذر لاهل الحق والدين من أهل العلم واليقين فى السكوت عن بيان الحق والهدى والدعاء الى الله والى سبيله بالاقوال والافعال والسعى بكل مستطاع وممكن فى اماتة البدع والمحدثات وازالة المنكرات وقد قال عليه الصلاة والسلام اذا ظهرت الفتن أو قال البدع وسب أصحابى فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا *وقد تعرض لبعض أهل العلم أوهام فتمنعه وتصده عن الدعوة الى الحق والنشر للعلم منها ان يقول انى غير عامل بعلمى فكيف أعلمه وادعو اليه وقد ورد من الوعيد فى ذلك ما لا مزيد عليه فيقال له التعليم للعلم من جملة العمل به والذى يعلم ولا يعمل بعلمه خير بكثير من الذى لا يعمل ولا يعلم واذا لم تقدر على الخير كله فلا تعجز عن القيام ببعضه وعليك ان تعلم وعليك ان تجتهد تعزم على العمل بما تعلم ولا شك ان الوعيد الوارد فى حق من يعلم الناس ولا يعمل بما يعلم هو ألزم وأجدر بالذى لا يعمل ولا يعلم لان الاول فرض الله عليه فريضتين فقام بأحدهما وقصر عن الاخرى والثانى ترك الفريضتين جميعا فهو بالوعيد أولى وبالعقوبة أحرى ومنها ان يقول فى نفسه ان الدعاء الى الله والارشاد لعباد الله تعالى مرتبة رفيعة ومنزلة شريفة هى من شأن أئمة الهدى والدين ووظيفتهم وأنا لست كذلك ولا من أهله فيحمله استصغاره لنفسه واحتقاره لها وتواضعه وانخفاضه على السكوت عن الدعاء الى الله والقيام بوظيفة الارشاد ويتوهم ان ذلك من التواضع المحمود ومعرفة الانسان بقدر نفسه ووقوفه عند حده وهذا من التوهمات الفاسدة لان الحق لا يمنع عن الحق والخير لا يصرف عن الخير فعليه ان يجتهد ويشمر فى الدعاء الى الهدى والدلالة على الخير مع التواضع والخضوع والاستشعار للخشية والخشوع والاعتراف بالتقصير واحتقار النفس وذلك هو الكمال والجمع لاوصاف الرجال الذين لا تصدهم وساوس الشيطان ولا تعرفوهم تخيلاته وتلبساته وترويجه للشر فى معرض الخير ومنها أعنى تلك الاوهام ان يشغل العالم نفسه وأوقاته بمواصلة الاوراد وتتابع الوظائف من العبادات من تلاوة وذكر ونحو ذلك ويرى ان ذلك أفضل له وأولى من الدعاء الى الله وسبيله ونشر العلم النافع فى الدين *والحق ان الدعوة الى الله والنشر للعلم النافع مع الاخلاص لله فيه أفضل من العبادات اللازمة من نوافل الصلوات والاذكار لما فى العلم من تعدى النفع والاحتياج الخاص والعام والصغير والكبير اليه وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى وفى حديث آخر فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ومع ذلك فلا ينبغى للعالم الداعى الى الله ان يهجر الاوراد ويقصر عن وظائف العبادات بل ينبغى له ان يجعل لها اوقات تخصها ويحسن التفرغ للعبادات فيها خصوصا بالليل وأوقات النهار التى لا ينشط فيها لنشر العلم أو لا يحضر فيها الطالبون المستفيدون (وقد قال الامام مالك رحمه الله) اطلبوا هذا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا يضر بالعلم

وعلى ما قدموه يقدمون وكيف لا يعلمون ذلك ويوقنون بما هنالك وهم يسمعون ما به يؤمنون ويصدقون من تنزيل الله المحكم وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم ما يوجب العلم اليقين القطعى لمن نور الله قلبه وشرح صدره فأحضر قلبك وأصغ بأذنك الى طرف من ذلك لعلك بسماعه تستيقظ من غفلتك وتتنبه من نومتك فتعمل لنفسك صالحا تنجو به يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم قال الله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وان الى ربك المنتهى وقال تعالى ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوأ يجزبه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى لا يكلف الله

(وقد قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى) يقسم الليل أثلاثا ثلثا للصلاة وثلثا لدراسة العلم وثلثا للنوم
(وقد ذكر حجة الاسلام رحمه الله تعالى) فى كتاب ترتيب الاوراد فى الاحياء كيفية فى ترتيب أوقات العالم
وتوزيعها تخصه فليتمسك العالم بما ذكره هنالك وليعمل عليه والله يتولى هداه وهذه التوهمات
التى ذكرناها وما فى معناها مما لم نذكره قد يقع لبعض العلماء العاملين الموصوفين بتقوى الله وخشيته
* وأما التوهمات والحسبانات التى تقع للعلماء المترسمين الذين لم يتحققوا بتقوى الله وخشيته ولم يحرصوا
على العمل بعلمهم فأمور كثيرة كلها ترجع الى أحوال أهل الغفلة والتخليط فتصدهم عن الدعوة الى
سبيل الله وعن نشر العلم ابتغاء وجه الله مثل الاشتغال بأحوال دنياهم وأمور معاشهم ومداهنة
أهل الباطل من وجوه أهل الدنيا ومراعاتهم ومثل التسويف وتزجية الاوقات من حين الى حين ومثل
الابقاء منهم على ستر أحوالهم وتقصيرهم فيتوهمون انهم اذا دعوا الى الله والى الدار الآخرة وهم على خلاف
ذلك تبين للناس نقصهم وسوء أفعالهم وقبيح سيرهم فيسقطون بسبب ذلك من أعين الناس وتنحط منازلهم
عندهم فلا يبقى لهم جاه ولا مقدار عند الخلق وهم أحرص شئ على اقامة جاههم ومنزلتهم فى قلوب الناس
لشدة رغبتهم فى الرياسة التى هى من أقوى لذات الدنيا وأغلب الشهوات على النفوس المتبعة للهوى
* ومن العلماء المترسمين من تكون العلوم التى هو مشتغل بها ويحصل لها ليست هى من علوم الدعوة
الى الله والى سبيله والتذكير به وبأيامه وآلائه ولا بوعده ووعيده وصاحبها يعد نفسه عالما ويعده من
هو كذلك فى مثل حاله من الجهال وذلك مثل الذى يكون علمه فى دقائق علم الكلام والتعمق فيه ومجرد
الفروع النادرة الوقوع من الفقه والفتاوى الكائنة بهذه المثابة ومثل الذى يكون علمه بمجرد علوم
الآلات اللغوية والادوات الادبية فهذه العلوم وامثالها ليست هى من علوم الدعوة الى الله والى طريقه
ولا المخوفة بلقائه ووعده ووعيده ولا المحذرة من اضاعة أمره وركوب نهيه وان كانت تعد من العلوم
فى الجملة ولكنها ليست من العلوم النافعة للخاص والعام ولا التى تدعو اليها حاجة الناس فى دينهم وأمر
آخرتهم وقد قيل العلوم كثيرة وما كلها بنافعة والعلوم بمنزلة الاطعمة والادوية يكون بعضها
نافعا ومهما فى حق كل أحد وبعضها للبعض دون البعض وبعضها مضر للبعض أو للكل وفى ذلك
تفصيل يطول ذكره فكل من يكون علمه مجرد هذه العلوم التى ليست بنافعة ومهمة فى الدين كان اطلاق
اسم العالم عليه صورة لا حقيقة لها وربما كان علمه ذلك سببا لوقوعه فى سخط ربه وهلاك نفسه وذهاب
آخرته فينبغى ان يضيف العالم بها اليها العلم بالعلوم الدينية الأخروية التى تقارنها المخافة والخشية
لله ويكثر فيها ذكر الوعد والوعيد والتزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة ونحو ذلك فهذه هى العلوم التى
قال فيها سفيان الثورى رحمه الله طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم ان يكون الا لله وكما قال الامام حجة
الاسلام رحمه الله فى معنى ذلك وكما انه قد تعرض للعالم التقى وللعالم المخلط أوهام وظنون فتثبطه
وتعوقه عن الدعوة الى الله والدلالة على الخير والنشر للعلم فقد يقع للجاهل أوهام فتصده وتصرفه عن
طلب العلم والتبصر فى الدين مثل ان يتوهم انه ان طلب العلم وعرفه توجهت عليه حقوق لله ولعباده
ولزمه القيام بأوامر الله فيه واجتناب نواه ومعاص فهو يحسب بجهله انه ان لم يعرف العلم ويطلبه سلم من
تلك المطالبات وخلص وهذا ظن فاسد وعذر بارد * حتى انك ترى بعض الجهال قد يمتنع عن حضور
مجالس أهل الحق والدعوة الى الله ويعدل عنها مخافة أن يسمع ما يلزمه العمل به من طاعة الله والاجتناب
لما حرم الله عليه من معصيته أو من الزهد فى الدنيا وشهواتها التى قد استولت عليه وأخذت بمخنقه أو من
الوعد والوعيد بثواب الله وعقابه ويحسب انه ينجو من ذلك ويسلم من المطالبة بما هنالك بسبب جهله
وعدوله عن الحق وأهله وهيهات هيهات فان الله لا يعذره بجهله ولا يزيده بذلك الا بعدا وخزيا
ونكالا وقد شغل الجاهل عن طلب الحق ومعرفة الدين طلب الدنيا واستغراق الاوقات فى الاشتغال بها
والاغترار بزخارفها والجمع لحطامها حتى لا يبقى له وقت ولا يصفو له زمن لطلب الحق والدين فيكون

نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وقال تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ويقال ان هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى عش ما شئت فانك ميت واحبب ما احببت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزى به وقال عليه السلام البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يفنى كما تدين تدان وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه يا عبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وقال عليه السلام لا تسبوا الموتى فانهم قد أفضوا الى ما قدموا وورد ان العبد قد يرفع على سيده فى درجات الجنة فيقول العبد أى رب

حظه الدنيا والشغل بجمعها ومنعها والتمتع بشهواتها ولذاتها فلا يكون له فى الدنيا والآخرة من خلاق ولا نصيب وهو يتوهم لعظم جهله وفرط غفلته ان طلب الدنيا أهم فى حقه وأوجب عليه وأولى به من طلب معرفة الدين والتبصر فيه والعلم بأوامر الله ونواهيه وفى أمثال هؤلاء يقول الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون والحق ان الاشتغال بطلب معرفة الدين والتبصر فى العلم والقيام بحق الله علما وعملا هو الاصل والاساس والرأس والذى عليه التعويل وأمور الدنيا كلها انما هى تابعة اعنى المهم منها وأما ماليس بمهم فمنهى عنه ومزهد فيه فانظر كيف يعكس الجاهل الغافل الامور بجهله ويرد الرأس ذنبا والذنب رأسا والتابع متبوعا والمزهود فيه والمرغوب عنه مرغوبا فيه تعرف بذلك شؤم الجهل ومضرته وكونه بلاء وخزيا على أهله فى الدنيا والآخرة ولذلك قيل شعر

ما يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقيل أيضا شعر

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله * فأجسادهم قبل القبور قبور

وقد غلب الجهل واستولى على أهل هذا الزمان السيء حاله وذهب بهم كل مذهب حتى صار الكثير منهم أو الأكثر لا يعلم ولا يدرى بالحق والدين ماهو ولا بالآخرة والمصير الى الله كيف هو فصارت تلك بلية عظيمة عم ضررها الجاهل والعالم والعام والخاص فأما تضرر الجاهل بها فليس يخفى لانه قد أضاع بسببها ما فرض الله عليه من معرفة دينه وتعلم أحكامه وأما تضرر العالم بها فلعلة قصيره فى الدعاء الى سبيل الله وتعليمه الناس ما يجهلونه من أحكام دينه مع تمكنه من ذلك فاذا صار الجهال بحيث لا يعلمون وجوب طلب ما فرض الله عليهم طلبه من علم الدين وجب على العلماء تعريفهم بذلك وحرم عليهم السكوت عنه ولم يعذرهم الله فى ترك ابتداء الجهال بالتعريف والتعليم للجاهل الذى يكون هذا وصفه وللعلماء فى ذلك شغل شاغل عن كثير من مهماتهم (واعلم) ان فى الاسلام فترات والناس اليوم فى بعضها اذ قد صار كثير ممن تشتمل عليه دائرة الاسلام لا يعلمون ما فرض الله عليهم من طاعته وما حرم عليهم من معصيته ولا يعلمون بوجوب طلب علم ذلك عليهم ثم العمل به حتى ينتهضوا لذلك ويأخذون فى طلبه وهم لا يعلمون بوجوب ذلك عليهم فتعينت المطالبة على أهل العلم والدعوة الى الله فى حقهم بأن يعرفوهم بوجوب ذلك عليهم ويحثوهم على طلبه ابتداء منهم فان من لا يعرف ولا يعلم لا يمكن منه الطلب والتعرف وهذه الفترات التى تكون فى الاسلام تقع بين الدعاة الى الله والى دينه تشبه الفترات التى تكون بين الرسل من بعض الوجوه * وقد أشار الى ذلك الشيخ العارف عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى رحمه الله فى أول كتابه المسمى تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر وهى غير الغربة التى تكون للدين فى آخر الزمان واقتراب الساعة التى قال فيها عليه الصلاة والسلام بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يحيون ما أمات الناس من سنتى الحديث وقال عليه الصلاة والسلام دخل الناس فى هذا الدين أفواجا وسيخرجون منه أفواجا كما دخلوا فمن أهل هذا الزمان من لا يعرف الحق والدين ولا يعرف ان معرفة ذلك واجبة عليه ومنهم من يعرف وجوب ذلك ولكنه لا يطلب معرفته تساهلا وتغافلا أو تشاغلا بامور الدنيا واستغراقا فى جمعها والتمتع بشهواتها ومنهم من عرف ذلك وطلب معرفته ولكنه لم يعمل بما عرفه وعلمه ومنهم من عرفه وعمل به ولكنه لم يخلص لله فى ذلك بل علم وعمل لأغراض دنياوية وحظوظ فانية وكل هذه الاوصاف الون مفتونون غيران بعضهم أضل من بعض وأشد فتنة وما أحسن ما قال بعض الأئمة من السلف الصالح رحمهم الله الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم موتى الا العاملون والعاملون كلهم موتى الا المخلصون والمخلصون كلهم موتى الا الوجلون والوجلون على خطر عظيم انتهى بمعناه فقد علمت بما تقدم ذكره من اعراض العامة عن معرفة الدين والطلب للحق ورضاهم بالجهل والعمى بدلا من العلم

هذا كان عبدى فى الدنيا فيقول سبحانه انما جزيته بعمله وقال على كرم الله وجهه الدنيا دار عمل ولا جزاء لها والآخرة جزاء ولا عمل فاعملوا فى دار لا جزاء فيها الدار لا عمل فيها وقال الحسن البصرى رحمه الله يقول الله لاهل الجنة ادخلوا الجنة برحمتى واخلدوا فيها بنياتكم الصالحة واقتسموها بأعمالكم وما ذكرته من الأدلة على وقوع المجازات أردت به التنبيه والا فهو أمر معلوم للخاص والعام معروف لا يكاد يخفى شىء على الاغبياء من العوام

فصل وقد جعل الله عشيئته رضاه فى طاعته وسخطه فى معصيته ووعد من أطاعه دخول جنته برحمته وأوعد من عصاه دخول ناره بعدله وحكمته فقال تعالى تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين وقد أمر سبحانه عباده الذين آمنوا بالمسارعة الى مغفرته وجنته وان يقوا أنفسهم وأهليهم نارا بامتثال أمره واجتناب معصيته فقال تعالى وسارعوا الى

والهدى منها فقد تضاعفت المؤنة وعظمت المطالبة على أهل الدعوة الى الله والبصيرة بدينه والمعرفة به لمه حيث تعين عليهم كمال القيام والحرص على ارشاد الخاص والعام وبداءتهم بذلك واشاعته فيهم ونشره بين اظهرهم ليعرف ذلك من لم يعرفه ويعلمه فتتضح محجة الله للسالكين وتقوم حجة الله على الهالكين ❁ وعلى الدعاة الى الله والعلماء بدينه ان يكونوا على نهاية وغاية من الرحمة والشفقة على المسلمين ومن الحرص والرغبة فى ارشادهم وهدايتهم ودعائهم الى ما فيه نجاتهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة وأن يكونوا على نهاية من الصبر والاحتمال وسعة الصدر ولين الجانب وخفض الجناح وحسن التألف قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الآية وان احتاجوا الى شىء من الشدة والغلظة مع من لا يصلحه الا ذلك فيكون ذلك فى الظاهر دون الباطن وعلى وجه لا يقتضى ولا يفضى الى تنفير وفرقة وان دخل عليهم أعنى أهل الحق والدعاة الى الله شىء من الاذى من الجاهلين بسبب ذلك كان عليهم أن يصبروا ويعرضوا ويقولوا خيرا قال الله تعالى لنبيه عليه السلام خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فقد قاست الانبياء والمرسلون وأتباعهم من أئمة الحق والهدى من طوائف الجاهلين والمعرضين من الاذى أمرا عظيما فصبروا واحتسبوا ولم يزدهم ذلك الا حرصا على ارشادهم وهدايتهم الى سبيل الله تعالى ونصيحتهم فى دين الله وحثهم وتحريضهم على اقامة أمر الله واجتناب نهيه هذا الذى درج عليه أنبياء الله ورسله والائمة من أتباعهم والدعاة الى دينهم من هذه الامة المحمدية وغيرها من الامم السالفة ❁ وأما اذا لم يقابل الداعى الى الله والى دينه بالرد الصريح وبالايذاء ولكنه لم يسمع منه ولم يقبل دعاءه أو قبل منه وأجيب ولكن لم يظهر على المستجيبين آثار الاستجابة من الاخذ بالحق والعمل به فليس له مع ذلك عذر فى ترك الدعاء الى الله والى سبيله ولو أن يستجيب له فى الزمن الطويل العدد القليل ومثل هذا الحال الذى وصفناه يكون حال الداعى الناصح فى أكثر الجهات الاسلامية فى هذه الازمنة انه لا يؤذى ولا يرد عليه الرد الصريح بل يقبل الحق منه أو لا يقبل ويعمل بما يدعو اليه او لا يعمل وربما يجىء زمانا بعد هذه الازمنة وأيام بعد هذه الايام يشتد فيها النكير ويعظم فيها الاذى على من يدعو الى الحق وينصح فى الدين فليغتنم الداعى الى الله والى الهدى هذه الايام الدعاء الى الله فيها والى دينه والحال ما وصفناه من قبل أن يأتى زمان آخر وناس آخرون يردّ فيه الحق على أهله رداصريحا ويؤذون على ذلك أذى قبيحا بل ربما يبادرون بالاذى من قبل أن يدعوا الى الحق والهدى وذلك عند اقتراب الساعة وظهور اشراطها وأماراتها العامة كما يعرف ذلك من نظر فى الاخبار والآثار ومن نعم الله على الداعين الى الله والى دينه فى هذا الزمان انهم اذا دعوا ونصحوا باللسان العام لم يرد عليهم ولم يؤذوا أيضا اذا خصوا اللهم الا ان يكون ذلك من بعض الجبارين والمتكبرين من أمراء الجور وولاة السوء فليتق الدعاة الى الله التخصيص والتعيين ليسلموا من سوء ردهم وفتنتهم وأذيتهم فانهم ربما ضعفوا عن احتمال ذلك وضاقت صدورهم وضجروا وتبرموا وجعلوا ما يلقونه من هؤلاء المفتونين حجة لهم فى السكوت عن النصيحة ورخصة فى الامساك عن الدعاء الى الحق والدين وليتأسوا بسيد النبيين وامام الناصحين محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا بلغه عن أحد يكرهه لا يصرح بذكره ولكن يقول ما بال أقوام يقولون كذا ويفعلون كذا كما فى الاحاديث وذلك تألفا منه ورفقا وتلطفا وسترا وقد قال فى وصفه عليه السلام ربه عز من قائل كريم وانك لعلى خلق عظيم وما أرسلناك الا رحمة للعالمين لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم صلوات الله وسلامه عليه وزاده شرفا وكرامة لديه ورزقنا كمال الاتباع له وحسن التأسى كما قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا فقد تبين واتضح بما ذكرناه انه لا عذر ولا رخصة

مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

(فصل) فى ذكر شىء مما يكرم الله به من أطاعه وعمل الصالحات لوجهه قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الآية وقال سبحانه وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا وقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا وقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قال ابن عباس رضى الله عنهما

للعلماء بالدين من الدعوة الى الله وبذل النصيحة للمسلمين وتعرضهم بما يجب من طاعة الله واجتناب
معاصيه وانه لا عذر ولا حجة لأهل الجهل في ترك القبول منهم والاستجابة لهم والاخذ عنهم بل عليهم أن
يطلبوا ذلك ويحرصوا عليه ويقدموه على كل شغل ومهم من مهمات معاشهم فان قصروا في طلب ذلك
والسعي له لم يسع العلماء بالدين والدعاة الى سبيل الله رب العالمين ان يسكتوا كما سكتوا أو يتركوا كما
تركوا فيكونون سواء في الاضاعة والاهمال والتهاون بحق الله الكبير المتعال (قال حجة الاسلام رحمه
الله تعالى) في آخر الباب الثالث من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاحياء * اعلم أن كل
قاعد في بيته أينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس
وتعليمهم وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في
القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب ان يكون في كل
مسجد ومحلة من البلاد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه
وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من أهل السواد أومن العرب والاكراد وغيرهم
ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فان أكثرها تكون
شبهة مغصوبة فان قام به واحد سقط الحرج عن الآخرين والا عم الحرج الكافة أجمعين اما العالم
فلتقصيره في ترك الخروج وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه
ان يعرف غيره والا فهو شريكه في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على
أهل العلم وكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من أهل العلم بها ولعمري ان الاثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم
فيه أظهر وهو ببضاعتهم أليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا أمرا لابد منه
في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلماء ورثة
الانبياء وليس للانسان أن يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا
علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذلك كل من تيقن ان في السوق منكرا يجري على الدوام
أو في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه
الخروج فان كان لا يقدر على تغيير البعض وهو يحترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج
لان خروجه اذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا تضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وانما يمتنع الحضور
لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح * فحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض
وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى عند الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى أهل محلته ثم الى أهل بلده
ثم الى أهل السواد المكتنف لبلده ثم الى أهل البوادي من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى أقصى
العالم فان قام به الأدنى سقط عن الأبعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان أو بعيدا ولا يسقط
الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى اليه بنفسه
أو بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تزجية الاوقات أي اضاعتها في
التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا
الا فرض عين أو فرض كفاية هو اهم منه والسلام انتهى ما ذكره رحمه الله تعالى ولكن ذلك آخر الكلام
في المقدمة المباركة ونشرع الآن مستعينين بالله ومعتمدين عليه في ذكر الأصناف الثمانية

الصنف الأول في العلماء بالدين والقول في نصيحة العلماء وتذكيرهم وتخويفهم وتحذيرهم

اعلم ان العلماء هم الرؤس من الناس والوجوه فيهم ومثلهم منهم مثل الملح من الطعام يصلح الطعام
بصلاحه ويفسد بفساده ولذلك قيل

يا معشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد

فالقراء هم العلماء وقد كان يطلق هذا الاسم عليهم في الأزمنة السالفة لانهم حملة القرآن كانوا هم العلماء

يحبهم ويحببهم الى المؤمنين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه أكرم الله بهذه المحبة العظيمة التي تصير معها حركات العبد وسكناته كلها بالله ولله من أداء ما افترضه عليه وأكثر من نوافل الطاعات تقربا اليه وقال عليه السلام فيما يرويه عن الله اذا تقرب الي عبدي شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا واذا أتى يمشي أتيته هرولة فتقرب العبد الى ربه بطاعته وخدمته وتقرب الرب من عبده بفضله ورحمته وقال عليه السلام فيما يحكي عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وفي الزبور ابن آدم أطعني أملأ قلبك غنى

بدين الله وبأمره وأحكامه حيث كانوا اذا قرؤا القرآن تفقهوا فيه وعلموا آمره وناهيه وواعظه وزاجره وما ينبغي الوقوف عنده منه ولذلك عز من جمع القرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه قبض صلوات الله وسلامه عليه عن ألوف كثيرة من الصحابة لم يجمع القرآن منهم الا نفر قليل قيل أربعة وقيل سبعة على خلاف في ذلك * وكان من يحفظ سورة البقرة وسورة آل عمران يعد من علمائهم وفقهائهم وفي الحديث من استظهر القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه غير انه لا يوحى اليه ومعنى استظهر القرآن أي حفظه عن ظهر قلب وهو الحفظ بالغيب فالقرآن تنزيل عظيم من رب عظيم على رسول كريم قد جمع الله فيه علم الأولين والآخرين وأخبار السابقين واللاحقين كما قال عليه الصلاة والسلام فيه نبأ من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن التمس الهدى من غيره أضله الله الحديث فقد آل الامر الى أقوام يقرؤن القرآن أحدهم من فاتحته الى خاتمته لا يدر ماهو ولا فيما أنزل ولا لأي شيء انزل ثم انه لا يهمه انه لا يعلم ولا يدري حتى تنبعث منه داعية لان يطلب علم ذلك ومعرفته وذلك من فرط غفلته وشدة انصراف قلبه عن فهم كتاب ربه استغراقا بالدنيا ورغبة في شهواتها واغترارا بزخارفها فن أضل ممن هذا الوصف وصفه وهذا الشأن شأنه أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون * فقد علمت أن القرآن العظيم أصل العلوم ومعدنها ومجمعها وموطنها قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فاذا رأيت الرجل يقرأ القرآن ولا يرتله ولا يتدبره ولا يفهم فيه ورأيته يحضر عند تلاوته وهو يلهو ويلغو فلا تشكن في أنه غافل محجوب مصروف عن آيات الله قد حل به من الله مقت وسخط وقد أقفل الله على قلبه قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ولا يغرنك انه يقرأ القرآن وقد ورد ان أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها وما ينفعه ذلك وقد أصبح القرآن حجة الله عليه كما قال عليه الصلاة والسلام والقرآن حجة لك أو عليك وفي الحديث الآخر من جعل من القرآن أمامه قاده الى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه الى النار فتبين ان من أخذ بالقرآن ايمانا وعلما وعملا فاز وسعد في الدنيا والآخرة ومن ضيعه وتعدى حدوده خاب وخسر وضل عن سواء السبيل وصار ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها وممن كذب بآيات الله وصدف عنها قال الله تعالى سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون وقد قال عليه الصلاة والسلام ان الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين فاجتهد أيها القارئ ان تكون ممن يرفعه الله بالقرآن بأن تقرأه كما أنزل وان تتلوه حق تلاوته فترتله وتتدبر معانيه وتقف عند كل آية منه وتنظر فيها هل أنت بها عالم وهل أنت بها عامل فان كانت من آيات الامر نظرت هل أنت لذلك الامر ممتثل وان كانت من آيات النهي نظرت هل أنت لذلك النهي مجتنب وكذلك في بقية الآيات وان مرت بك آية فوجدت انك لا تعلم علمها سألت عنها من يعلمه فبذلك تصير من التالين لكتاب الله كما يحب ويرضى ان شاء الله تعالى ولا تكن ممن يقرأ ولا يدري ويهذ القرآن هذ الشعر وينثره نثر الدقل فيصبح من النادمين ويكون في الآخرة من الخاسرين واذا كنت ممن حفظ القرآن وتلاه ثم لم تعد ولم تذكر في علماء الدين فلست تحفظه ولست تتلوه حقيقة وانما ذلك مجازا وصورة تقوم به عليك الحجة فقط فان القراء هم العلماء مهما كانوا يقرؤن القرآن كما أمروا ويتلونه كما وصفوا حسب ما تقدم من البيان والله الهادي الى الصواب وقد طال الكلام وامتد في شأن حملة القرآن وانهم كانوا هم العلماء فيما قد مضى من الاعصار والازمان حيث كانوا يحملونه مع العلم به والعمل بما فيه الى أن صاروا بحيث لا يعدون من أهل العلم ولا يوصفون به فانظر رحمك الله تفاوت ما بين من مضى ومن بقي * ثم اعلم انه قد غلب على أهل العلم الغرور والفتن واستولى عليهم الاعراض والغفلة وتركوا العمل بالعلم وصار العلم على ألسنتهم دون قلوبهم وفي أقوالهم دون أفعالهم فصار العلم بذلك حجة الله عليهم كما قال عليه الصلاة والسلام العلم علمان علم في القلب فذلك هو العلم النافع وعلم على اللسان وذلك حجة

ويذيلك رزقا وجسمك صحة وأوحى الله الى الدنيا يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه وقال بشر بن الحارث رحمه الله ذهب أهل الخير بالدنيا والآخرة وقال يحيى بن معاذ أبناء الدنيا تخدمهم العبيد وأبناء الآخرة تخدمهم الاحرار فان أردت يا أخي ان يكون لك عز لا ينقضي وسودد لا ينقطع وشرف لا يذهب ومجد لا يبلى فأطع ربك فان الله قد جعل ذلك كله في طاعته يكرم به من أطاعه من عباده وقد أكرم الله عبادا أطاعوه فحررهم من رق الشهوات وطهر قلوبهم من دنس الالتفات الى الفانيات وأجرى على أيديهم خوارق العادات وعجائب الكرامات من الاخبار والغيبيات وادرار البركات واجابة الدعوات فأصبح الناس يقتبسون من انوارهم ويقتدون بآثارهم ويتوجهون بهم الى الله في كشف مهماتهم ويسألونه بحقهم في دفع ملماتهم ويستسعون بمواطئ أقدامهم بتربة ضرائحهم وقد أكرمهم سبحانه بما هو أعلا مما هنالك وأعطاهم ما هو أجل من ذلك قذف في قلوبهم من نوره وحشاها

الله على ابن آدم * وفى دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم انى أسألك علما نافعا واستعاذ صلوات الله عليه من علم لا ينفع وقلب لا يخشع * فتبين بذلك انقسام العلم الى نافع وغير نافع وانقسام أهل العلم الى منتفع به وغير منتفع حتى ان العلم قد يكون من العلوم النافعة ولا ينتفع به صاحبه اذا كان يعمل على خلاف علمه فيكون حاله كحال الاناء الخبيث اذا جعل فيه الطعام الطيب خبثه وقد قال بعض العلماء رحمه الله زيادة العلم فى الرجل السوء كزيادة الماء فى أصل شجرة الحنظل كلما ازدادت ريا ازدادت مرارة وأراد بشجرة الحنظل شجرة الحدج وعلى هذا فيكون كلما قل ريه بالماء قلت مرارته فيكون العالم السوء كلما قل علمه قلت فتنته وفساده ومضرته ولا تستبعد هذا فان مثل بنى آدم فى طباعهم واختلافها مثل الاشجار والاراضى فى اختلاف طباعها وجواهرها فان من الاشجار والارضين ما يحسن ويقوى ويطيب بوصول الماء اليه وريه منه ومنها ما يكون على الضد من ذلك مثل الاشجار المرة وذوات الشوك ومثل الاراضى السبخة والقيعان المعطلة التى يزيدها الماء مرارة وشوكا وملوحة وفسادا ومن عجائب ما ذكر ان مطر الربيع يقع بالمواضع التى يكون فيها الدر واللؤلؤ فتفغر له الاصداف أفواهها وتنطبق عليه فيصير فيها باذن الله تعالى درا ولؤلؤا وتفغر له الافاعى افواهها فيكون فيها اسما ناقعا وهو مطر واحد فى حين واحد فيختلف الى هذه الغاية باختلاف مواضعه والمحال القابلة له فلا تستبعد بعد هذا مصير العلم فى الرجل السوء ضارا أو غير نافع والعلم انما هو عرض يقوم بغيره وآلة صالحة للصلاح والنفع اذا وقع عند أهل الصلاح والانتفاع أو بضد ذلك اذا وقع عند أهل الفساد والاضرار ثم ان العلم الذى يكون عند العالم السوء ليس هو العلم الحقيقى الدينى بل هو صورته وقالبه وهو على لسانه وظاهره ليس فى قلبه ولا فى باطنه شىء منه قال الامام مالك رحمه الله ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يقذفه الله تعالى فى القلب وفى كلام ابن مسعود رضى الله عنه مثله وقال انما العلم الخشية وفى بعض الآثار العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل أى يرتحل معناه وحقيقته ونوره وبركته ويبقى رسمه وصورته تقوم به الحجة على صاحبه وللامام الشافعى رحمه الله نظما

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فارشدنى الى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور * ونور الله لا يؤتيه عاصى

يشير بذلك الى حقيقة العلم ورحمه على مثل ما قررناه وبيناه وقال عمر رضى الله عنه اخوف ما أخاف عليكم او قال على هذه الامة فاجر عليم اللسان وقال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك هذا ينفر الناس بتهتكه وهذا يغر الناس بتنسكه انتهى * فقد تبين واتضح ان العالم التقى المصلح خير كله ونفع وصلاح لنفسه وللمسلمين وان العالم الذى لا يتقى الله ولا يخشاه شر كله وبلاء وفتنة على نفسه وعلى المسلمين وقد ضربوا للعلماء السوء امثالا وقد تروى عن عيسى بن مريم عليه السلام احدها ان مثلهم مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن والثانى ان مثلهم مثل القبور ظاهرها معمور وباطنها عظام الموتى وثالثها مثل البيت المظلم وعلى ظهره المصباح الضياء على ظاهره والظلمة على باطنه وأشد من هذا كله وأشنع ما ضرب الله المجيد فى كتابه العزيز للعلماء السوء من الامثال حيث شبههم بأخس الدواب الحمير والكلاب حيث يقول عز من قائل مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقال تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الى قوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ولا شك ان الدواب والبهائم احسن حالا ممن نبذ كتاب الله وضيع امره واستهان بحقه فان البهائم والدواب تموت ثم تصير الى التراب وهو يصير الى النار والعذاب والبوار وقد قال عليه الصلاة والسلام اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال عليه الصلاة والسلام من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عليه الصلاة والسلام يؤتى بالعالم الى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار بالرحا الحديث والاقتاب هى الامعاء

من خالص معرفته ومحبته وآنسهم فى خلواتهم بذكره فاستوحشوا من خليقته وأعد لهم النعيم المقيم فى جنات النعيم ووعدهم النظر الى وجهه الكريم ورضاه عنهم أكبر ذلك هو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون

(فصل) فى ذكر شىء مما يترتب على المعصية من الخزى والدمار والهوان والبوار فى الدنيا والآخرة قال الله تعالى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وقال تعالى ام حسب الذين يعملون السيآت ان يسبقونا ساء ما يحكمون ومعنى يسبقونا يعجزونا ويفوتونا وقال تعالى ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وقال عليه السلام اذا أذنب العبد ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه وان عاد زاد ذلك حتى يسود قلبه فذلك قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال عليه السلام قسوة القلب من كثرة الذنوب وقال

ثم ان العلم فنون وانواع كثيرة والعلماء أصناف كثيرة وعلى مراتب ومنازل متفاوتة فاما العلوم الدينية الشرعية فيجب وجوبا متأكدا ان لا يريد العالم بها والمتعلم لها بتعليمها وتعلمها الا وجه الله والدار الآخرة ويجب وجوبا متأكدا العمل بها ونشرها والدعاء اليها لوجه الله والدار الآخرة وقد وعد الله على القيام بذلك رضاه وثوابه العظيم وتوعد على ترك ذلك والتقصير فيه بسخطه وعذابه الأليم ومن العلوم ما ليس بديني ولا شرعي بحكم الاصالة كعلوم اللغة والحساب والطب فيجوز ان تعلم هذه العلوم وتتعلم لقصد الامور الدنياوية المباحة ولو قصد العالم بها والمتعلم لها امر الدين وذلك فيما يصلح التوسل به الى الدين ويتوصل به اليه ويستعان عليه كان له في ذلك ثواب عظيم واجر من حيث ان للوسائل حكم المقاصد * واما العلماء فافضلهم وارفعهم عند الله منزلة من يتعلم العلم ويعمل به ويعلمه ابتغاء وجه الله والدار الاخرة من غير ان يكون له قصد في ذلك ولا غرض آخر من اغراض الدنيا البتة اولئك هم المفلحون الفائزون برضوان الله وجواره في دار كرامته والسائرون على سبيل أنبيائه ورسله والوارثون لهم الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام ومن أهل العلم من تكون نيته في تعلمه العلم وتعليمه مقصورة على الدنيا ونيل الجاه والمال والمنزلة عند الناس وأشباه ذلك من الحظوظ الفانية ولكنه يستشعر في نفسه سوء حاله وخسة قصده ونيته وشوم تقصيره فذلك على خطر وعاقبته مخوفة ومع ذلك فالتوبة مرجوة له والانتباه من غفلته وسوء نيته ومن أهل العلم من يكون نيته وقصده بعلمه المنافسة والمباهاة والمجادلة والممارأة والتمكن من حظوظ الدنيا ونيل الولايات فيها وحصول المنزلة عند أهلها ونحو ذلك من حظوظ الدنيا الخسيسة وهو مع ذلك يضمر في نفسه ويستشعر فيها انه على حالة مرضية ونية محمودة ومنزلة عند الله رفيعة لترسمه برسوم العلماء في الزي والمنطق وظواهر الاحوال فهذا العالم بأشر المنازل وأوضع المراتب ويكاد يدخل في عموم قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال حجة الاسلام رحمه الله في زمن هذا وصفه فهذا من الهالكين ومن الحمقاء المغرورين اذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه انه من المحسنين وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال قيل فما هو يا رسول الله قال العلماء السوء انتهى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب علما مما يبتغى به وجه الله لا يطلبه الا لينال به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وعرف الجنة ريحها وهو كما في الحديث يوجد من مسيرة خمسمائة عام وقال عليه السلام من طلب العلم ليجادل به العلماء ويماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار وذكر في بعض الأخبار ان رجلا صحب موسى عليه السلام ولازمه حتى أخذ عنه العلم ثم جعل يقول حدثنا موسى كليم الله حدثنا موسى صفي الله حتى أثرى وكثر ماله ثم فقده موسى فجعل يسأل عنه فلا يسمع له بخبر الى ان جاءه رجل وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فسأله موسى عنه هل رآه فقال له نعم هو هذا الخنزير فسأل موسى عليه السلام ربه ان يعيده الى صورته ليسأله عما اصابه فأوحى الله اليه لو سألتني بما سألني به آدم فمن بعده لم اعده الى صورته ولكني اخبرك عنه لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين * واغلظ من هذا ما روى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطا وفي الصمت سلامة وعلم انتهى الاثر والخبر المذكور الى آخره وفيه تشديد عظيم حذفناه اختصارا اذ كر فيه طبقات النار وان في كل طبقات منها صنفا من العلماء السوء وصفهم باوصاف قبيحة منكرة ذكرها في كتاب العلم من الاحياء * فالاصل الذي ينبغي لطالب العلم ان يعول عليه هو اصلاح النية في اول طلبه وهو أن يريد به وجه الله والدار الآخرة فان النية هي الاساس الذي يبنى عليه فاذا اصلح واستقام صلح البناء واستقام فليعتني طالب العلم بذلك اشد الاعتناء وليحرص عليه اتم الحرص وقد قال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات الحديث وقد ذكر الامام الغزالي رحمه

صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق لذنب يصيبه الحديث وأوحى الله الى موسى يا موسى أول من مات من خلقي ابليس لعنه الله لانه أول من عصاني ومن عصاني كتبته ميتا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله ما أكرمت العباد نفسها بمثل طاعة الله ولا أهانتها بمثل معصية الله ويكفي المؤمن من نصر الله له ان يرى عدوه يعمل بالمعاصي وقال محمد بن واسع الذنب على الذنب يميت القلب وقال بعض السلف ان كنت تعصى الله وأنت ترى انه يراك فأنت مستهزئ بنظر الله وان كنت تعصيه وترى انه لا يراك فأنت كافر وقيل لوهيب بن الورد هل يجد لذة العبادة من يعصى الله قال لا ولا من يهم بالمعصية وكان السلف الصالح يقولون المعاصي بريد الكفر رأى رسوله وعلى الجملة فعلامة السقوط من عين الله والكون في مقت الله العمل بمعصية الله فالمصر عليها مقيت الرحمن وولى الشيطان ويغبط أهل الايمان فاياك يا أخي والتعرض لسخط الله وعقابه بارتكاب معصيته ومهما دعتك نفسك الى ارتكابها فاذكرها باطلاع

الله فى اول الهداية تنبيها جامعا نبه به طالب العلم على ما هو الفاسد من النيات والصحيح منها وما ينبغى وما لا ينبغى منها وذلك قوله أما بعد فاعلم أيها الحريص على اقتباس العلم المظهر من نفسه صدق الرغبة فيه وفرط التعطش اليه انك ان كنت تقصد بطلب العلم الى قوله وحيتان البحر تستغفر لك اذا سعيت * ثم ان العالم الفاضل المحمود حاله الرفيعة درجته عند ربه المرفوعة الفائز فى آخرته هو العالم العامل بعلمه الذى ينشر العلم ويدعو اليه ويعلمه لعباد الله ابتغاء وجه الله ومرضاته ورغبة فيما عنده من ثواب الآخرة ثم يليه العالم الذى يعمل بعلمه لله ولكنه لم يتصد لتعليم عباد الله فان كان الحامل له على ترك التعليم البخل بالعلم والرغبة فى كتمانه عن اهله فهو بذلك آثم ومذموم عند الله ورسوله وان كان الحامل له على ذلك شغله بنفسه واستغراقه بوظائف دينه والعمل لآخرته وقد استغنى الناس عن تعليمه لقيام غيره من العلماء بتعليم العلم ونشره للناس فلا بأس بما فعل فقد أخذ بمثل ذلك جماعة من السلف الصالح والخلف المبارك سيما فى علوم الاحكام والفتاوى ونحوها وسيأتى زيادة بيان لهذا الامر فى ذكر أوصاف المتجردين لعبادة الله والمتفرغين لها من علماء الدين وعباد الله الصالحين ان شاء الله * ثم يلى هذا العالم من العلماء العالم الذى لا يجتهد ولا يشمر فى العمل بما يعلم ولكنه يعلم الناس وينشر العلم لهم ويكون الحامل له على ترك العمل بالعلم مع التعليم اما كسل وتسويف واما انه يستثقل العمل لمعنى آخر من معانى تسويلات النفس ويستخف التعليم لما فيه من الشهرة والذكر بين الناس والمنزلة عندهم وقد شبهوا هذا العالم بالابرة التى تكسو الناس وهى عارية وبالشمعة الذى تضئ للناس وهى تحترق فى نفسها وبالمسن الذى يشحذ غيره وهو لا يقطع وصاحب هذا الحال داخل فى عموم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقوله عليه الصلاة والسلام يؤمر بالعالم الى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون ما بالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقال عليه الصلاة والسلام تعلموا ما شئتم فوالله لا يقبل ذلك منكم حتى تعملوا به ويلى هذا العالم من يعلم ثم انه لا يعمل بعلمه ولا يعلمه الناس اما كسلا واستثقالا واما اشتغالا واستغراقا بامور الدنيا وحظوظها وقد مثلوا هذا العالم بالصخرة التى تقع فى فم النهر فلا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخرج فيشرب منه الناس وينتفعون به وجميع ما ورد فى الوعيد فى حق من لا يعمل بعلمه يتناول هذا العالم ثم يزيد عليه الوعيد الوارد فى حق من لا يعلم العلم لعباد الله ويكتمه مثل قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب الآية وأسوء حالا من هذا العالم هو العالم الذى لا يعمل بعلمه ولا يعلمه الناس ثم يدعو مع ذلك الى الشر والضلالة وترويج الشر فى معرض الخير وتصوير الباطل بصورة الحق اما على نية المداهنة والمحاباة للظالمين والجاهلين لينال بذلك الجاه والمنزلة عندهم ويصيب من أموالهم وما فى أيديهم من متاع الدنيا واما عنادا لله ورسوله وبغيا فى الارض وفسادا أولئك من خلفاء الشياطين ونواب الدجال الكذاب اللعين وهم أسوء العلماء حالا واخسرهم مآلا وعليهم أوزارهم وأوزار من اضلوه من عباد الله ودعوه الى الضلالة كما قال عليه الصلاة والسلام من دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه من غير ان ينقص من آثامهم شئ وقد يموت هذا العالم السوء وتبقى بعده ذنوبه وزلاته وضلالاته فيعذب بها فى قبره وتلحقه آثامها بعد موته لبقائها لعاملين بها المتبعين له عليها الازمنة المتطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه كما قال بعض العلماء المحققين ومثل العالم السوء لو انتبه من غفلته وأراد التوبة الى ربه من زلاته فربما تعسرت وتعذرت التوبة عليه كما بلغنا ان بعض علماء بنى اسرائيل الذين كانوا يدعون الى الضلالة ندم على صنيعه وقصد التوبة من ضلالاته فجاء الى نبى زمانه فاخبره ليشفع فيه الى ربه ليقبله فأوحى الله الى ذلك النبى ان قال لو كانت ذنوبه فيما بينى وبينه لغفرتها له فكيف بعبادى الذين قد

الله عليك ونظره اليك وخوفها بما توعد الله من عصاه من أليم العذاب وعظيم العقاب ولو لم يكن فى ارتكابها الا فوات منازل السابقين وحرمان ثواب المحسنين لكان كافيا كيف وفى ارتكابها العار والنار وسخط الجبار وغضبه الذى لا تقوم له السموات والارض نسأل الله العافية عنه

* فصل * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فاذا وفقك الله أيها المؤمن للعمل بطاعته فليعظم فرحك بذلك ولتبالغ فى شكر الذى أكرمك بخدمته واختارك لمعاملته واسأله ان يقبل منك بفضله ما يسره عليك من صالح العمل قال على كرم الله وجهه كونوا بقبول العمل أهم منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مقبول ولا تزال معترفا بتقصيرك عن القيام بواجب حق ربك عليك وان عظم فى طاعته جدك وتشميرك فان حقه عليك عظيم أوجدك من العدم وأسبغ عليك النعم وعاملك بالفضل والكرم وبحوله وقوته أطعته وبتوفيقه ورحمته عبدته واياك ان تدنس قميص

أضلهم وادخلهم النار أي باتباعه على ضلالته وبلغنا ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن سبيلي أولئك قطاع الطريق على عبادي وذكران النواويس شكت الى الله من نتن جيف الكفار فقيل لها ان بطون علماء السوء أشد مما أنتم فيه وقال بعض السلف الصالح رحمهم الله ينظر أحدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله من مثل حاله وعلماء السوء أشر منه حالا أو كما قال وفي كلام لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه يذكر في علماء السوء قال في آخره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وانما صاروا بهذه المثابة من الشر لانهم عكسوا الامر فانعكسوا وانتكسوا حيث كان أحدهم يمكنه ان يكون داعيا وهاديا الى سبيل الرحمن وصار ضالا مضلا يدعو ويهدي الى سبيل الشيطان وقد سمعت ما قال الله العزيز الديان في شأن بلعام بن باعوراء حيث يقول سبحانه واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين الى قوله فاقصص القصص لعلهم يتفكرون فكذلك يكون حال العالم الطالب بعلمه الدنيا المتبع الهوى المضل للناس بما يزين لهم من الضلالة والاغوى * ومن شأن علماء الدين أن يكونوا هم المفزع والمرجع لعموم المسلمين عندما تشتبه عليهم الامور وتشكل عليهم الاشياء فاذا رجعوا اليهم وجدوا عندهم ازاحة الشبهات وايضاح الامور المشكلات بما آتاهم الله من الآيات البينات وأودع لديهم من العلم بالسنن الواضحات فقد صار الكثير من المترسمين بالعلم من أهل هذا الزمان بلاء وفتنة وحيرة وضلالة اذا رجعت اليهم العامة أضلوهم وفتنوهم وفتحوا لهم أبواب الحيل والمخادعات التي يتوصلون بها الى ابطال الحقوق وأكل أموال الناس بالباطل فالله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد أحدث بمثل ذلك علماء بني اسرائيل فيما حكى الله عنهم من أخبارهم فضرب الله بقلوب بعضهم على بعض وجعلهم نكالا وموعظة لمن بعدهم وقد وردت الاحاديث بأن أهل الضلالة من هذه الأمة يتبعونهم على ضلالتهم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم من ورائهم قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفي رواية حتى لو كان منهم من أتى أمه لكان منكم من يفعله الحديث وقد ظهرت أمثال هذه الحيل والمخادعات في بني اسرائيل ما وقع لاهل القرية الذين استحلوا الاصطياد يوم السبت بتلك الحيلة ومثل قصة صاحب العصا الذي جعل فيها الجوهرة التي كانت مودعة عنده فلم تغن عنهم تلك المخادعات من الله شيأ وحل بهم مقت الله وسخطه فاذا كان العالم يكون بحيث انه هو الذي يرخص للعامي ويوسع له فيما لا رخصة فيه من الله ولا يسعه فأي شيء يكون حاله عند الله وأي شيء تكون منزلته وليتوقع من الله عقابا وسخطا يحل به فالذي ينبغي للعالم ان كان من علماء الدين الذي ينفع الله بهم المسلمين اذا رجع العامة اليه وسألوه بلسان مقالهم ولسان حالهم ان يدلهم على ما فيه نجاتهم وسعادتهم في الدار الآخرة ويشرح لهم سبيل الورع ويفتح لهم أبواب الاحتياط في الدين ويحذرهم من أكل أموال الناس بالباطل والوقوع فيما حرم الله عليهم مع مجانبة الشبهات والاشياء المشكلات فانه بذلك ومثله يعد من علماء الدين وهداة المسلمين فأما انه يوسع لهم ما ضيقه الله عليهم ويصور لهم الباطل بصورة الحق ويحسن لهم الوقوع في الشبهات فليس ذلك من شأن العلماء بدين الله الذين يخشون الله ويتقونه وينصحون لانفسهم ولاخوانهم من المسلمين بل هو من شأن الشياطين والأئمة المضلين الذين يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وفي حديث حذيفة رضي الله عنه لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا كنا في جاهلية فأتانا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر فذكر الحديث بطوله الى ان قال عليه الصلاة والسلام نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها * وفي بعض الاخبار ان الناس ينزل بهم نازلة فيفزعون الى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا قردة وخنازير قال بعض المحققين المراد مسخ صورهم الباطنة وقد مسخت من زمان انتهى فمن يكون علمه بلاء عليه وعلى المسلمين وفتنة وضلالة فليس لعالم بل هو شيطان مارد وفاجر معاند لله ورسوله قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله

اولئك

ايمانك وتسود وجه قلبك باتيان ما نهاك عنه مولاك ومهما وقع منك ذنب على سبيل الندور فعليك ان تبادر بالتوبة وتحسن الأوبة وتكثر الندم والاستغفار ولا تزال خائفا وجلا فان المؤمن لا يزال في غاية من الخوف والوجل وان أخلص الطاعة وأحسن المعاملة وأنت تعلم ما كانت عليه الانبياء وأنت مع عصمتهم والاولياء مع حفظهم من الخوف والاشفاق مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم أو عدمها فأنت بذلك أولى وأحرى فلقد كانوا أعرف منك بسعة رحمة الله وأحسن منك ظنا بالله وأصدق منك طمعا في عفوه وأعظم منك رجاء في كرمه وفضله فاقتد بآثارهم تنجو وتسلم واتبع سبيلهم تفوز وتغنم واعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم

(فصل) فلما كانت هذه الدار قد اسست على المحن والآفات وعجنت بالمنغصات والمكدرات وحشيت بالمشغلات والملهيات كثرت لذلك الصوارف عن الطاعات وتوفرت الدواعي الى المخالفات ثم انها وان كثرت تلك الصوارف وتوفرت تلك الدواعي فتكاد

أولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز (واعلم) ان العامة محتاجون الى من يصلحهم ويرشدهم ويعظهم ويخوفهم بالله ويذكرهم بوعده ووعيده لان فى الغالب عليهم الغفلة عن الله وعن الدار الآخرة والميل الى الدنيا ومتاعها ولذاتها وحظوظها العاجلة * فاذا صار الذى يسمى عالما بألسنة الجاهلين يفتيهم ويضلهم ويوسع لهم الامور التى ضيقها الله عليهم من أمور الدين بحيث يلقنهم الدعاوى الباطلة والشهادات الزور وحيل الربا والنذور التى يعرفهم وإياهم انهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى وارادة ثوابه بوجه ويقول لمن جاءه ليكتب له وصية غير جائزة لوارث مثلا ان الوصية للوارث غير جائزة اجعلها بصيغة نذر أو اقرار ولمن يريد ان يعطى ماله بعض ورثته ويحرم الباقين منهم جعله بطريق الاقرار والنذر حتى يصح ذلك فى ظاهر الحكم واشباه ذلك من الامور المستبشعة والحيل والمخادعات الفاسدة فما هذا العالم المترسم الموصوف بهذه الاحوال من أئمة الضلال والمحال ودعاة النار والبوار الذين جعلهم الله عارا وخزيا وبلاء وفتنة على أنفسهم وعلى من أخذ بزخارفهم وأتبعهم على ضلالتهم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وكان العلماء المتقون اذا تكلموا مع عامة المسلمين واستفتوهم العامة فى شئ لم يجدوهم بالرخص ولم يخبروهم باختلاف العلماء فيما يوهم الترخص وكانوا يخبرونهم بما يقتضى الاحتياط فى الدين والبعد عن الأمور المشتبهة ويقولون العامة نضيق عليهم وهم يوسعون لانفسهم لما هو الغالب عليهم من الغفلة والانقياد للشهوات والحظوظ الدنياوية فان وسعت عليهم وحدثتهم بالرخص خرجوا منها الى المحرمات لان أكثرهم فى مثل أحوال البهائم * وفى الحديث من وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقد بلغنا ان بعض ملوك المغرب جامع فى نهار شهر رمضان فجمع العلماء الذين عنده ليسألهم عن حكم ذلك فلما اجتمعوا عنده وسألهم قال له واحد منهم كان المقدم فيهم بالعلم والفضل عليك ان تصوم شهرين متتابعين فلما خرجوا من عنده قالوا لذلك العالم كيف تفتيه بأن عليه صيام شهرين متتابعين وأنت تعلم ان مذهب الامام مالك رحمه الله تعالى التخيير فى كفارة الجامع فى نهار رمضان بين اعتاق الرقبة والصوم والاطعام وكانوا مالكية فقال لهم لو أخبرته بالاعتاق والاطعام لهان عليه ذلك وجامع فى كل يوم من رمضان والصوم يشتد عليه مشقته فيكون أقرب الى زجره وردعه وكان الامام أحمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى لا يقرأ كتاب الايلاء والظهار واللعان فى حضرة العامة وكان يأمر القارئ اذا انتهى اليها بحضرتهم ان يجاوزها ويقربه اياها خاليا لئلا يسمعوها فيسارعوا فيها فيقعون فى الحرج والعنت هكذا كانت سير علماء الدين فى كمال شفقتهم وحسن سياستهم لعامة المسلمين قال ابن عباس رضى الله عنهما لبعض من أراد أن يسأله عن شئ استحى من ذكره انما العالم بمنزلة الوالد فيما تفضى به الى والدك فافض به الى وقد سبقه الى ذلك امام المتقين وسيد الناصحين صلوات الله وسلامه عليه حيث قال انما أنا لكم بمنزلة الوالد وقد كان صلوات الله عليه اذا جاءه من يسأله أرشده الى ما فيه تقوى الله والنجاة من عذابه والتعظيم لحرماته والاحتياط فى دينه فمن ذلك حديث الانصارى الذى أراد أن يعطى بعض أولاده غلاما فلما سأله عليه السلام هل أعطيت سائر أولادك مثله فقال لا فأمره برد الغلام وفى رواية انه سأل منه عليه السلام ان يشهد على ذلك فقال هذا جور وأنا لا أشهد على الجور الحديث * ومن ذلك حين رأى صلى الله عليه وسلم التمر الذى جئ به اليه من خيبر فرآه جيدا فسأل أكل تمر خيبر هكذا فقالوا لا ولكنا نأخذ الصاع من هذا بصاعين من الردئ فقال عليه الصلاة والسلام هذا من الربا ولكن بيعوا الصاعين من الردئ بدرهم واشتروا بالدرهم صاعا من الجيد أو كما قال عليه السلام فارشدهم الى ما يصح ويحل ونهاهم عما لا يصح ولا يحل ولما سأله عقبة بن الحارث رضى الله عنه عن امرأة تزوج بها فجاءته امرأة سوداء فأخبرته انها قد أرضعته وارضعت المرأة التى تزوجها وقال يارسول الله انها هى سوداء فقال له عليه السلام دعها أى المرأة التى تزوجها فلا خير لك فيها

تحصر فى اربعة اشياء احدها الجهل الثانى ضعف الايمان الثالث طول الامل الرابع أكل الحرام والشبهات ونحن ان شاء الله نشير الى كل واحد من هذه الاربعة بكلمات وجيزة ننبه على ذمها وصدور التثبط عنها وسبيل الخلاص منها وبالله التوفيق

فصل أما الجهل فهو أصل كل شر ومنشأ كل ضرر وهو وأهله داخلون فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما عليها الا ذكر الله وعالم ومتعلم ويروى ان الله لما خلق الجهل قال له أقبل فأدبر فقال ادبر فاقبل فقال له وعزتى ما خلقت خلقا أبغض الى منك ولأجعلنك فى شرار خلقى وقال على كرم الله وجهه لا عدو أعدى من الجهل والمرء عدو ما جهل وذم الجهل معلوم بالنقل والعقل لا يكاد يخفى على احد والجاهل واقع فى ترك الطاعات وفعل المعاصى شاء أم أبى فانه لا يدرى أى شئ الطاعة التى امره الله بفعلها ولا اى شئ المعصية التى نهاه الله عن ارتكابها ولا يخرج من ظلمات الجهل الا بنور

الحديث وهكذا كان شأن علماء الدين الناصحين لله ورسوله وللمسلمين انما يدلونهم على ما فيه النجاة والفوز من البعد عن الشبهات والامور المشكلات وما يوهم التساهل فى الدين والترخص المذموم الذى لا يأخذ به الا كل متهاون متساهل فى دينه متعرض للوقوع فيما يسخط ربه ويضره فى آخرته ولم يزل علماء الآخرة من أهل اليقين والخشية والزهد فى الدنيا يحذرون الناس من علماء الشر المفتونين الراغبين فى الدنيا ويبينون لهم أمرهم وأحوالهم ويصفونهم لهم بأوصافهم المفرقة المميزة بينهم وبين علماء الآخرة الدعاة الى الله والى دينه وقد ذكر الامام حجة الاسلام رحمه الله فى كتاب العلم من الاحياء ما فيه الغنية والكفاية وقد سبق الى نحو من ذلك الامام الحارث بن اسد المحاسبى رحمه الله فى كتبه والامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتاب قوت القلوب وغير هؤلاء كثير من السلف والخلف الصالح من الذين كانوا يحذرون علماء السوء ويخوفونهم بالله ويحذرون الناس منهم ومن فتنهم ويفرقون للناس بينهم وبين علماء الآخرة بالعلامات والدلالات وقد ذكر الامام الغزالى رحمه الله فى كتاب العلم بابا ذكر فيه علامات علماء الآخرة وعد من ذلك اثنى عشر علامة فلينظر فيه من أراده ورغب فى الوقوف عليه رحمة الله عليه ورضوانه وعلى جميع علماء الدين الناصحين للمسلمين قال رحمه الله بعد ما عد علامات علماء الآخرة المميزة بينهم وبين علماء الدنيا فهذه اثنى عشر علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحد منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصف بهذه الصفات أو معترف بالتقصير مع الاقرار به واياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن تلقب آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين فى الدين فتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فبها هلك الجمهور فنسأل الله ان يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور انتهى

﴿واعلم﴾ ان للعلم وأهله والمعلمين له والمتعلمين الذين يريدون بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة فضلا عظيما وشأنا جسيما وثوابا كريما وقد ورد فى ذلك من الآيات والاخبار والآثار ما يطول ذكره ويتعذر حصره قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير وقال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر وقال عليه الصلاة والسلام من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وقال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه السلام من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب الحديث وقال عليه السلام أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وأوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم وقال على كرم الله وجهه لكميل بن زياد يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال لقمان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء دم الشهداء * وقال أبو الاسود رحمه الله ليس شئ أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان تموت رواته فوالذى نفسى بيده ليودن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان أحدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعليم وقد ذكرنا هذه النبذة اليسيرة

من

العلم ولله در الشيخ على بن أبى بكر حيث يقول شعرا

الجهل نار لدين المرء يحرقه … والعلم ماء لتلك النار يطفيها

فعليك ان تتعلم ما أوجب الله عليك علمه وليس بواجب عليك أن تتسع فى العلم بل عليك ان تتعلم ما لا يصلح ايمانك بدونه من علوم الايمان وعليك ان تتعلم كيف تؤدى ما افترض الله عليك من طاعته وكيف تجتنب ما نهاك عنه من معصيته وجوبا فوريا فى الفوريات وموسعا فى الموسعات وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ومن طلب العلم للناس فحوائج الناس كثيرة

﴿فصل﴾ وأما ضعف الايمان فهو بلية عظيمة وخلة ذميمة تنشأ عنها امور مذمومة مثل ترك العمل بالعلم وترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأمانى المغفرة بلا سعى لها والاهتمام بالرزق وخوف الخلق الى غير ذلك من الاخلاق المشؤمة وعلى قدر ايمان العبد يكون امتثاله للامر واجتنابه للنهى وأول دليل على ضعف ايمانه

من فضل العلم وأهله تبركا وتنبيها وفضل العلم مجموع مخصوص بفضل الله ورحمته للعلماء الذين تعلموا وعملوا وعلموا العلم ابتغاء وجه الله تعالى ومرضاته والدار الآخرة فأما علماء السوء المفتونون فليس لهم فضل بل تدور رد فى ذمهم وتوبيخهم ما يطول ويهول كما ذكرنا شيأ من ذلك فيما تقدم نسأل الله العافية من كل شر وفتنة وبلاء ومحنة فى الدنيا والآخرة لنا ولأحبابنا وللمسلمين ونسأل الله علما نافعا وعملا متقبلا ونعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وان يختم لنا بالحسنى والاحسان فى لطف وعافية انه أرحم الراحمين

﴿الصنف الثانى فى العباد والزهاد وأهل الجد والاجتهاد المتبتلون الى الله والمتفرغون لطاعته وعبادته وخدمته وحسن معاملته والقول فى نصيحتهم وتذكيرهم وتنبيههم وتحذيرهم﴾

اعلم ان هذا الصنف من الناس وهم صفوة الله من عباده وموضع نظره من خلقه ومعادن أنواره وخزائن اسراره وكثير ما يوجد منهم ويعرف فيهم أولياء الله وأصفياؤه من الاوتاد والابدال والنقباء والنجباء من الرجال وفيهم ومنهم تتعرف وتؤخذ حقائق الاخلاص والصدق والتوكل والزهد وأشباهها من مقامات اليقين وأسرار معاملات الدين أولئك هم الصوفية الاصفياء الابرياء الاتقياء أهل الحق والحقيقة العاملون السالكون الذائقون لاسرار الطريقة وأرباب الولاية والرعاية الذين يمن ببركاتهم ومستجاب دعواتهم تستدفع البليات وتستكف الأذيات ويرحم الحاضر والباد ويغاث العباد والبلاد نفعنا الله بهم وأعاد من سرهم وبركاتهم علينا وعلى أحبابنا والمسلمين *ثم اعلم انه قد يقتدى بهؤلاء ويتأسى بأسوتهم ويقصد سلوك طرائقهم من شاء الله من المبتدئين والطالبين فيحتاجون الى التعريف والتنبيه والتعليم والتذكير فنحن نذكر من ذلك ما يسره الله كما انا قد أسلفنا فى شرح أحوال الصنف الاول الذين هم العلماء بالدين ما يسر الله ذكره فنسأل الله العظيم ان يبارك لنا ولهم فى ذلك وفى جميع ما أعطانا وأعطاهم من فضله واحسانه وان يوفقنا واياهم لشكر نعمه الموجب للمزيد من كرمه فانه الجواد الكريم الرؤف الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وهو حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿اعلم﴾ رحمك الله ان من أراد سلوك طريق الله وعزم على التفرغ لعبادته والانقطاع اليه سبحانه وتعالى وعلى التجرد عن كل ما يشغل عن التفرغ لهذا الشأن من أى شئ كان يتعين عليه ويتأكد جدا ان ينظر فان كان قد حصل من علوم الايمان وعلوم الاسلام ما لا بد منه أخذ فى العبادة بالتفرغ عن كل ما يشغله عنها وجد فى قطع العلائق وصرف العوائق وأقبل بظاهره وباطنه على الله وعلى الدار الآخرة *وان كان لم يحصل ما لا بد له منه من هذه العلوم وجب عليه ان يحصل القدر الذى يتعين عليه علمه فان ذلك فرض عليه مقدم على الاخذ فى العبادة وعلى سلوك طريق التأله والزهادة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفى الخبر أو الاثر من عبد الله بجهل كان ما يفسده أى من عبادته أكثر مما ينفعه فعلى الراغب فى سلوك طريق الله ان يتعلم من العلوم الايمانية والعلوم الاسلامية ما يصحح به معتقده فى معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته ومن الايمان بالرسل وباليوم الآخر ومن علوم الاسلام العلم بالطهارة والصلاة والصوم وبالزكاة والحج وبالجملة فلا يدخل فى شئ من العبادات ولا يتلبس بشئ من العادات كالأنكحة والمبايعات حتى يعلم حكم الله تعالى فيه والا وقع فى الحرج من حيث يدرى ومن حيث لا يدرى من غير ان يعذر بذلك *ويكفيه فى معرفة علوم الايمان ان يعرف ويعلم بعض عقائد الائمة المجمع على علمهم وامانتهم وصلاحهم مثل الامام حجة الاسلام وعقيدته التى أوردها فى أول كتاب قواعد العقائد من كتب احياء علوم الدين كفاية فى ذلك ونهاية وقد ذكرنا فى أوائل كتاب اتحاف السائل وفى خاتمة كتاب النصائح الدينية عقائد مختصرة جامعة فيها الكفاية للسالك الناسك وأما علوم الاسلام المترجم عنها بعلوم الاحكام فيكفى السالك ان يعلم منها ما أورده حجة الاسلام رحمه الله فى بداية الهداية غير انه لم يذكر فيها من علوم الزكاة وعلوم الحج ما تدعو اليه الحاجة وقد أحال مريد ذلك على كتاب احياء علوم الدين وفيه ما ذكره

تركه للموافقات وارتكابه للمخالفات فعلى كل مؤمن أن يسعى فى تقوية ايمانه والامور التى يقوى بها الايمان ويزيد ثلاثة احدها أن يصغى بسمعه الى الآيات والاخبار التى فيها ذكر الوعد والوعيد وأمور الآخرة والى قصص الانبياء وما أيدوا به من المعجزات وما حل بمعانديهم من المثلات والى ما كان عليه السلف الصالح من الزهادة فى الدنيا والرغبة فى الآخرة الى غير ذلك من الادلة السمعيات الثانى ان ينظر بعين الاستبصار والاستدلال الى ملكوت السموات والارض وما بينهما من عجائب الآيات وبدائع المصنوعات الثالث ان يواظب على العمل بالصالحات ويحترز من الوقوع فى المعاصى والسيئات وان الايمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وكل هذه المذكورات يزيد بها الايمان ويقوى بها الايقان والله المستعان ﴿فصل﴾ وأما طول الأمل فهو مذموم جدا بل هو الذى يدعو الى خراب الآخرة وعمار الدنيا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نجا أول هذه الامة

الفقيه العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن الحاج أبي فضل رحمه الله في كتاب المختصر اللطيف ما يكفي الناسك فان احتاج الى مزيد عليه فلينظر في مختصره الكبير الذي شرحه الشيخ احمد بن حجر الهيثمي رحمه الله وان ساعدت الاقدار وامتدت الايام وضعنا كتابا يشتمل على ما يحتاجه أهل النسك والعبادة وعامة المسلمين من علوم الايمان وعلوم الاسلام وعلوم الاحسان ونجعله كالشرح لحديث جبريل عليه السلام الذي سأل به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه العلوم * وأما التبحر والاتساع في العلوم فليس ذلك بواجب على الاعيان بل هو خاص بالمتفرغين المتأهلين له من أئمة الدين وأعلام الملة الذين أقامهم الحق وأهلهم لنفع عباده وارشادهم وبيان أحكام أحوال معاشهم ومعادهم وقد يجمع الله لبعض الخواص من المؤمنين بين العلوم الباطنة والظاهرة ويؤهله لنفع الخاصة والعامة وعلم الشريعة وسلوك الطريق وشهود الحقيقة وكان على هذا القدم وعلى مثل هذا الوصف جماعة من السلف الصالح مثل سيدنا الامام زين العابدين على بن الحسين بن على أمير المؤمنين وولده الامام أبي جعفر محمد الباقر وولده الامام جعفر الصادق بن محمد ومثل الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الأموي ومثل أبي سعيد الحسن بن الحسين البصري وجماعة يكثر عددهم ومن بعدهم مثل الشيخ الحارث بن أسد المحاسبي والشيخ الجنيد بن محمد ومن بعدهم مثل الشيخ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب الرسالة ومثل الامام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي ومثل الشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الشريف الحسن الجيلاني ومثل الشيخ أبي حفص عمر بن محمد السهروردي صاحب العوارف وعمه الشيخ أبي النجيب السهروردي الى غير هؤلاء من الائمة الاعلام * ومن السادات آل أبي علوي الاشراف الحسينيين جماعة كثيرة كانوا على هذا الوصف وعلى هذا القدم من الجمع بين العلم الظاهر والعلم الباطن والشريعة والطريقة والحقيقة مثل شيخ الشيوخ الفقيه المقدم محمد بن على الشريف الحسيني التريمي ومثل الشيخ المعظم السقاف عبد الرحمن بن محمد وولده الشيخ القدوة عمر المحضار وولد ولده الشيخ القطب عبد الله ابن الشيخ أبي بكر العيدروس وأخيه الشيخ الجامع على بن أبي بكر ومن أهل البيت السادة الى أبي علوي جماعة يطول تعدادهم كانوا على ذلك الوصف يعرف ذلك من نظر في سيرهم وطالع في أخبارهم ومناقبهم نفعنا الله بهم وبسائر الصالحين وأفاض علينا من بركاتهم وحفظنا باسرارهم من الشر والأشرار والفتن والمفتونين انه جواد كريم قريب مجيب ومن رجال هذه الطريقة من كان شأنه الاقتصار من العلم على لا بد منه والأخذ في العبادة والتبتل الى الله والانقطاع اليه والتفرغ عن كل ما يشغله عنه سبحانه وعن طاعته والانقباض عن الناس والفرار منهم مثل أويس القرني ومالك بن دينار وعبد الواحد بن زيد وعتبة الغلام والربيع بن خيثم وثابت البناني وحبيب العجمي وابراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض ووهيب بن الوردي وداود الطائي ومعروف الكرخي وبشر الحافي وسري السقطي وسهل التستري رحمهم الله وكان شأن هؤلاء الانقباض عن الناس وقلة المخالطة وخروج الكثير منهم الى الجبال والشعاب والسياحة في الفيافي والقفار رياضة للنفس وقطعا للعوائد ومألوفاتها وتصحيح المقامات اليقين من التوكل على الله والاخلاص له والزهد في الدنيا وفي المال والجاه والمنزلة في قلوب الناس وكان الأكثر من رجال الله على مثل هذا الوصف وهذا السبيل وكان من ظهر للناس منهم وجالسهم انما يجالس مع الخاصة ويخوض معهم في العلوم الخاصة وكان أحدهم اذا كثر عليه الناس يترك الجلوس ويقوم عنهم وربما أمر بعضهم بغلق الباب عليه وعلى أصحابه من الخاصة لدقة العلوم التي يتذاكرون بها ويتفاوضون فيما بينهم وكانوا يفرون من الشهرة ومن نصب أنفسهم للفتياء وتقلد الولايات والأحكام والجلوس لعامة الناس شغلا منهم بأنفسهم وحرصا على سلامة دينهم وصلاح قلوبهم ولما لقي هرم بن حيان أويس القرني رحمهم الله بشاطئ الفرات بعد ان طلبه مدة قال له حدثني بحديث احفظه عنك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظه فقال له أويس اني لم ألق رسول الله بأبي وأمي رسول الله ولكني لقيت

بالزهد في الدنيا وقصر الأمل ويهلك آخرها بالحرص وطول الامل وقال عليه السلام من الشقاء أربع جمود العين وقسوة القلب والحرص وطول الامل ومن دعائه عليه السلام أعوذ بك من كل أمل يلهيني وقال على كرم الله وجهه أخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة ومن المأثور من أطال أمله نسى عمله فطول الامل عبارة عن استشعار طول البقاء في الدنيا وهو دال من صاحبه على فرط الحماقة ونهاية الغباوة فانه قد ضيع الحزم وتمسك بالوهم ولو قيل له مساء هل تثق بالبقاء الى الصباح أو صباحا هل تثق بالبقاء الى المساء لقال لا ثم هو يعمل لدنياه عمل من لا يموت حتى لو أنه أخبر أنه يخلد في الدنيا لم يجد موضعا لازيادة على ما هو عليه من الحرص والرغبة في الدنيا فمن أعظم حماقة ممن هذه صفته ثم ان طول الأمل أصل جملة من سيئات الأخلاق والاعمال التي تثبط عن الطاعة وتدعو الى الوقوع في المعصية مثل

رجالا رأوه وقد بلغني من حديثه وأ كره ان أفتح على نفسي هذا الباب لي شغل شاغل في نفسي لا أحب ان أكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا أو كما قال رحمه الله والقصة في ذلك مشهورة وكان يقال مثل بشر بن الحارث مثل العين العذبة يردها الواحد بعد الواحد ومثل أحمد بن حنبل مثل دجلة يردها البر والفاجر وقال بشر رحمه الله فضلني أحمد بن حنبل رحمه الله بثلاث ذ كر منها انه نصب اماما للامة وكان أحمد يقول في بشر انه قعد على مثل حد السيف اى من الورع والاحتياط للدين والتقلل من الدنيا فانظر رحمك الله الى هؤلاء الأئمة كل منهم يفضل صاحبه على نفسه ويشهد له بالسبق والتقدم وقال بشر أشتهي ان أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت وروى انه دفن بضعة عشر ما بين قوصرة وقطر من الكتب وروى الامام محمد بن يوسف الأصفهاني وهو يدفن كتبه ويقول كنت محدثا فكان ماذا كنت مفتيا فكان ماذا كنت قاضيا فكان ماذا أو كما قال * ومثل ذلك كان شأن رجال قبلوا على الله وعلى الدار الآخرة واشتغلوا بخاصة أنفسهم وتجردوا لعبادة ربهم وفيهم يصدق قول من قال كان العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا اشتغلوا فاذا اشتغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا أى فرارا بدينهم واحترازا عمن يشغلهم عن عبادة ربهم وكان العلماء في تلك الأزمنة متكاثرين ومتوافرين وكان القيام بفرض الكفاية من تعليم من ليس يعلم حاصلا بالبعض منهم وقائما به فتفرغ امثال هؤلاء الذين ذكرناهم للعمل والعبادة والاعتزال عن الناس والاقبال بكنه الهمة على الدار الآخرة وترك ما يشغلهم عن ربهم وعن طاعته والتجرد لعبادته كائنا ذلك ما كان ثم ان من اهم مهمات على سالكي هذه الطريق بعد أخذ ما لا بد لهم من العلم التحرى البالغ والحرص التام على تناول الحلال ثم على الاقتصار منه على قدره كضرورة الحاجة من الطعم والملبس ونحو ذلك من الحاجات المعاشية وان لا يتساهلوا في ذلك ولا يأخذوا فيه بالرخصة وما يجوز زعماء وشأن العامة بل يجتهدوا في طلب الحلال المطلق الصافي عن جميع الشوائب فان صفا لهم ذلك وتيسر وهم بين ظهراني الناس والا خرجوا في طلبه الى حيث يوجد وتيسره من المواضع التى يوجد ذلك فيها من الجبال والبرارى التى يكثر فيها وجود الأشياء المباحة المقتاتة ولو من الحشيش وقد أخذ بذلك واعتمده كثير من رجال الله الذين لهم عناية بصفاء قلوبهم وصلاحها واستعدادها لمعرفة الله والمكاشفة بأسراره وغيوبه في ملكه وملكوته رضى الله عنهم أجمعين فبلغنا عن بعضهم انه كان يقتات الحشيش حتى اخضر جسده وكان بعضهم اذا لم يجد الحلال المطلق يستف من الرمل الأيام الكثيرة نقل ذلك عن سفيان الثورى وغيره رحمه الله تعالى وأما ما يقوله العلماء رحمة الله عليهم ان الحلال هو الذى لا يعلم الانسان سببا ظاهرا في تحريمه وان من أكثر ماله حلال تجوز معاملته فذلك صحيح وهو الذى يسع عامة المسلمين ويتيسر لهم وما جعل الله عليكم في الدين من حرج ولكن الجائز والمباح وموضع الرخصة والسعة غير الورع والاحتياط والأخذ بعزائم الدين ولكل مقام رجال ولكل حال مقال وقد بالغ رجال من هذا الصنف في الاقتصار من الحلال الصافي على ما لا بد منه في حفظ القوة التى لا بد منها في اقامة أمر الله وفرائض دينه وانتهى بعضهم الى الاقتصار على حد الضرورة من ذلك ولهم في ذلك سير وأقوال معروفة عن سهل بن أبي عبد الله التسترى وغيره من أئمتهم وقد شرح ذلك الامام حجة الاسلام رحمه في كتاب كسر الشهوتين من الاحياء وفي غيره من كتبه التى ألفها في علومهم وشرح طرائقهم وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول أحلى ما تكون العبادة اذا التصق بطنى بظهرى وقال أيضا لأن أترك لقمة من عشاى أحب الى من قيام ليلة وأقوالهم في ذلك كثيرة مشهورة وقد رد بعضهم أصول هذه الطريقة الى أربعة قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام واعتزال الأنام قال وبها صار الابدال ابدالا وهى أركان بيت الولاية وفي ذلك يقول قائلهم

بيت الولاية قسمت أركانه * ساداتنا فيه من الابدال

ما بين صمت واعتزال دائم * والجوع والسهر النزيه العالى

الحرص والبخل وخوف الفقر ومن أعظمها قبحا الاستبشاش بالدنيا والأخذ من عمارتها والسعى لجمع حطامها وقد قال عليه السلام بعثت لخراب الدنيا فمن عمرها فليس منى ومن طول الأمل يكون التسويف وهو العقيم الذى لا يلد خيرا قط يقال ان أكثر صياح أهل النار من سوف فلا يزال المسوف يتثاقل عن الطاعات ويؤخر التوبة عن السيئات حتى ينزل به الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين فيقال له ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فيخرج من الدنيا بحسرة لا آخر لها وندامة لا انتهاء لها فقصر يا اخى املك وليكن أجلك نصب عينيك واملك وراء ظهرك واستعن على ذلك بالاكثار من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات وتفكر فيما اندرج امامك من المعارف والقرابات واستشعر قرب الموت فانه أقرب غائب ينتظر وكن مستعدا له متخوفا هجومه في جميع الحالات وقد كان رسول الله صلى الله عليه

﴿وقد نظمناها في بيت من آخر التائية وهو﴾

وكن في طعام والمنام وخلطه * ونطق على حد اقتصار وقلة

﴿وفي الرائية التي مطلعها﴾

يا زائري حين لا واش من البشر * وبالرياضة من صمت ومخمصة * مع التخلي عن الاضداد والسهر

﴿ومن آخر العينية أيضا﴾

والنفس رضها باعتزال دائم * والصمت مع سهر الدجا وتجوع

وقد قال حاتم الأصم رحمه الله تعالى من أراد طريقنا هذا فليوطن نفسه على أربعة ألوان من الموت موت أبيض وهو الجوع وموت أحمر وهو مجاهدة النفس وموت أخضر وهو طرح الرقاع بعضها الى بعض وموت أسود وهو احتمال الأذى من الخلق أو كما قال وقال الجنيد رحمه الله تعالى لا يصلح طريقنا هذا الا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل أي من تذللهم لله وتواضعهم لعباده وخضوعهم وخشوعهم لعظمته واعلم ان الصادقين من أهل هذا الطريق قد قلوا وعزوا حتى صاروا أعز من الكبريت الأحمر حتى قال بعض المحققين بفقدهم وخلو الارض منهم وفي كلامه نظر وقد يعبر عما قل وعز وجوده بالمفقود والأرض لا تخلو عن قائم لله بحجته * وفي الحديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك * وفي الحديث الآخر ليجدن ابن مريم من أمتي رجالا هم مثل حواريه وخيرا منهم أو كما قال عليه الصلاة والسلام ولكنهم يقلون ويستترون عند فساد الزمان وعموم الفتن وغلبة الغفلة والاعراض عن الله فمنهم من يعتزل الناس مع الاقامة بين أظهرهم ومنهم من يستتر عنهم بحرفة ونحوها ومنهم من يخرج الى البراري والقفار فرارا الى الله بدينه واحترازا من الفتن والمفتونين قال بعض العارفين انما خرج أهل الحق من بين أظهر الناس الى القفار والبراري لانهم لا يطيقون النظر الى علماء السوء الذين هم علماء عند أنفسهم وجهال عند أهل الله تعالى من رجال الحق انتهى ما ذكره يعني فأهل هذه الطريقة أحرص الناس على الاستتار والخمول والفرار عن الناس خصوصا عند فساد الزمان والى أهل هذه الطائفة الاشارة بمثل قوله عليه الصلاة والسلام كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي يعني بالغني غنى النفس القنوع قال رجل يا رسول الله أي الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره وقال عليه الصلاة والسلام يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وعن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليسير من الرياء شرك ومن عاد أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة ان الله يحب من عباده الابرار الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وقال عليه الصلاة والسلام أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة وكان رزقه كفافا وصبر عليه حتى لقي الله وأحسن عبادة ربه وكان غامضا في الناس عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وفي مثله أنشدوا

أخص الناس بالايمان عبد * خفيف الحاذ مسكنه القفار

له بالليل حظ من صلاة * ومن صوم اذا طلع النهار

وفيه عفة وبه خمول * اليه بالاصابع لا يشار

وقل الباكيات عليه لما * قضى نحبا وليس له يسار

(قال) الشيخ الامام عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني رحمه الله تعالى في كتابه روض الرياحين في الحكاية الخامسة والاربعين بعد المائة منه روي ان أويسا القرني رضي الله عنه كان يقتات من المزابل ويكتسي منها فنبحه كلب على مزبلة فقال له أويس كل مما يليك وأنا آكل مما يليني ولا تنبحني

فان

وسلم يقول والذي نفسي بيده ما رفعت طرفي وظننت اني أخفضه حتى أقبض ولا أكلت لقمة فظننت اني أسيغها حتى أغص بها من الموت الحديث وربما ضرب بيده على الحائط للتيمم فيقال له ان الماء منك قريب فيقول لا أدري لعلي لا أبلغه وكان الصديق رضي الله عنه ينشد

كل امرء مصبح في أهله
والموت أقرب من شراك نعله

قال حجة الاسلام رحمه الله اعلم ان الموت لا يهجم في وقت مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص ولا بد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا

﴿فصل﴾ وأما تناول الحرام والشبهة فهو لا محالة يصرف عن الطاعة ويدعو الى المعصية وقد روي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الحلال اطاعت جوارحه شاء أم أبى ومن أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى وفي الخبر او الأثر كل ما شئت فمثله تعمل وقال بعض العارفين ما قطع الخلق عن الحق وأخرجهم من دائرة الولاية الا عدم تفتيشهم عن هذه اللقمة وأكل الحرام والشبهة وان

فان جزت الصراط فأنا خير منك والا فأنت خير مني وكان أهله يقولون هو مجنون وأقاربه يستهزؤن والصغار به يتولعون وبالحجارة يرمون وفيه أقول

سقى الله قوما من شراب وداده * فهاموا به ما بين باد وحاضر
تظنهم الجهال جنوا وما بهم * جنون سوى حب على القوم ظاهر
سقوا بكؤس الحب راحا من الهوى * فراحوا اسكارى بالحبيب المسامر
يناجونه في ظلمة الليل عندما * به قد خلو منهم أويس بن عامر

(وفي الحديث) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الابرياء الشعثة رؤسهم المغبرة وجوههم الخميصة بطونهم الذين اذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا لم يفقدوا وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذاك أويس القرني قالوا وما أويس القرني قال أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يبكي على نفسه ذو طمرين لا ثوب له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول في أهل الأرض معروف في أهل السماء لو أقسم على الله لأبر قسمه ألا وان تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة وقيل لأويس قف فاشفع فيشفعه الله في مثل ربيعة ومضر يا عمر يا علي اذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه أن يستغفر لكما يغفر الله لكما قال فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه فلما كان في آخر السنة التي توفي فيها عمر قام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته يا أهل اليمن أفيكم أويس فقام شيخ كبير طويل اللحية فقال انا لا ندري ما أويس ولكن ابن أخ لي يقال له أويس وهو أخمل ذكرا وأقل مالا وأهون أمرا من أن نرفعه اليك وانه ليرعى ابلنا حقير بين أظهرنا فعمي عليه عمر كأنه لا يريده وقال أين ابن أخيك هذا أبحرمنا هو قال نعم قال وأين يصاب قال بأراك عرفات قال فركب عمر وعلي رضي الله عنهما سراعا اليه الى عرفات فاذا هو قائم يصلي الى شجرة والابل حوله ترعى فشدا حماريهما ثم أقبلا عليه وقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته فخفف أويس من الصلاة ثم رد عليهما السلام فقالا من الرجل فقال راعي ابل وأجير قوم فقالا لسنا نسألك عن الرعاية والاجارة ما اسمك فقال عبد الله قالا قد علمنا ان أهل السموات والأرض كلهم عبيد الله فما اسمك الذي سمتك به أمك قال يا هذان ما تريدان بي قالا وصف لنا النبي صلى الله عليه وسلم أويسا القرني فقد عرفنا الصهوبة والشهولة وأخبرنا أن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا فان كانت بك فأنت هو فأوضح لهما منكبه فاذا لمعة فابتدراه يقبلانه وقالا نشهد انك أويس القرني فاستغفر لنا يغفر الله لك فقال ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحدا من ولد آدم ولكنه في البر والبحر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات يا هذان قد شهر الله لكما حالي وعرفكما أمري فمن انتما قال علي أما هذا فعمر أمير المؤمنين وأما أنا فعلي بن أبي طالب فاستوى أويس قائما وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وأنت يا ابن أبي طالب فجزاكما الله عن هذه الامة خيرا قالا وأنت فجزاك الله عن نفسك خيرا فقال له عمر مكانك حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من ثيابي هذا المكان ميعاد بيني وبينك فقال لا ميعاد بيني وبينك يا أمير المؤمنين ولا أراك بعد اليوم تعرفني ما أصنع بالنفقة ما اصنع بالكسوة أما ترى علي ازارا من صوف متى تراني أبليه ما أما تراني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها يا أمير المؤمنين ان بين يدي ويديك عقبة كؤدا لا يجاوزها الا كل ضامر مخف مهزول فأخف رحمك الله فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الارض ثم نادى بأعلى صوته ألا ليت عمر لم تلده أمه ألا ليتها كانت عقيما لم تعالج حملها ألا من يأخذها بما فيها ولها يعني الخلافة ثم قال يا أمير المؤمنين خذ أنت ههنا حتى آخذ أنا ههنا فولى

أطاع فطاعته غير مقبولة لأن الله انما يتقبل من المتقين والله طيب لا يقبل الا الطيب فاسلك يا أخي عن تناول الحرام وجوبا وعن تناول الشبهات ورعا وعليك بطلب الحلال فان طلبه فريضة بعد الفريضة فاذا ظفرت به فكل منه قصدا والبس منه قصدا ولا تسرف فان الحلال لا يحتمل السرف اياك والشبع فانه من الحلال مبدأ كل شر فيكون من الحرام وقد قال عليه السلام ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه والسلام

(فصل) قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون فعليك أيها المؤمن وفقك الله بالتفرغ لعبادة ربك بقطع ما يقطع عنها من القواطع وصرف ما يصرف عنها من الصوارف والموانع واعلم ان العبادة لا تصح بدون العلم والعلم والعبادة لا ينفعان الا مع الاخلاص فعليك به فانه القطب الذي عليه المدار

عمر ناحية مكة وساق أويس ابله فوافى القوم فاعطاهم اياها وخلى الرعاية وأقبل على العبادة حتى لحق
الله تعالى وفى صحيح مسلم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يأتى عليكم أويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع
درهم له والدة هو بها بر لو اقسم على الله لأبره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل وساق الحديث الى أن ذكر
اجتماع عمر به وقوله فاستغفر لى فاستغفر له فقال له أين تريد قال الكوفة قال ألا أكتب لك الى عاملها
قال أكون فى غبراء الناس أحب الى وهذا بعض الحديث وفى رواية مسلم عن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له أويس وكان له والدة
وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم قوله أويس غبراء الناس هو بفتح الغين المعجمة واسكان الباء الموحدة
وبالمد وهم فقراؤهم وصعاليكهم ومن لا تعرف عينه من أخلاطهم وروى عن علقمة بن يزيد رضى الله عنه
قال انتهى الزهد الى ثمانية من التابعين منهم أويس القرنى ظن أهله انه مجنون فبنوا له بيتا على باب
دارهم وكانت تأتى عليه السنون لا يرون له وجها وكان طعامه مما يلتقطه من النوى فاذا أمسى باعه
لافطاره فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فى الموسم ايها الناس قوموا فقاموا فقال اجلسوا الا
من كان من اليمن فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من
قرن فجلسوا الا رجلا وكان عم أويس فقال له عمر أقرنى أنت قال نعم قال أتعرف أويسا قال وما تسأل عن
ذلك يا أمير المؤمنين فوالله ما فينا أحمق ولا أجن ولا أحوج منه فبكى عمر ثم قال بلى لانى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر وروى عن عمار بن يوسف الضبى
قال قال رجل لأويس القرنى كيف أصبحت قال أصبحت أحب الله وأمسيت أحمد الله وما تسأل عن حال
رجل اذا أصبح ظن أنه لا يمسى واذا أمسى ظن أنه لا يصبح ان الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحا وان حق الله
تعالى فى مال المسلم لم يدع له فى ماله فضة ولا ذهبا وان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يدع لمؤمن
صديقا نأمرهم بالمعروف ويشتمون اعراضنا ويجدون على ذلك اعوانا من الفاسقين حتى والله لقد رمونى
بالعظائم وايم الله لا ادع ان اقوم لله فيهم بحقه ثم اخذ الطريق يعنى عشى وخلانى وروى عن هرم بن
حيان رضى الله عنه قال بلغنى حديث أويس فقدمت الكوفة فلم يكن لى هم الا طلبه حتى سقطت عليه
جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ فعرفته بالنعت الذى نعت لى فاذا رجل نحيل شديد
الادمة اشعث محلوق الرأس مهيب المنظر فسلمت عليه فرد على ونظر لى ومددت يدى لأصافحه فابى ان
يصافحنى قلت وفى انقباض أويس رضى الله عنه وما كان عليه فيه من رثاث الحال والتوحش والانعزال
وما نسب اليه الجهال من الجنون والاختلال وما كان فيه من التقشف والابتذال وغير ذلك من سائر
الاحوال أظهر دليل لمن قصد ذلك النحو من الفقراء الصادقين ولا مبالاة بانكار من ينكر عليهم بزعم ان
ذلك خلاف السنة ولم يدر ان السنة العظمى هى ترك الدنيا والاعراض عن الورى والاقبال على المولى
سبحانه وتعالى قال هرم فقلت يرحمك الله يا أويس وغفر لك كيف انت وخنقتنى العبرة من حبى اياه
ورقتى عليه لما رأيت من حاله حتى بكيت وبكى قال وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان فكيف أنت يا أخى
من دلك على قلت الله قال لا اله الا الله سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا قلت ومن اين عرفت اسمى
واسم ابى وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتنى قال انبأنى العليم الخبير وعرفت روحى روحك حين كلمت نفسى
نفسك ان المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم
بهم المنازل قلت حدثنى رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لم أدرك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم تكن لى معه صحبة بابى وامى رسول الله ولكنى قد رأيت رجالا رأوه وبلغنى من حديثه ولست
أحب ان أفتح على نفسى هذا الباب ان أكون محدثا أو قاضيا أو مفتيا فى نفسى شغل شاغل عن الناس
فقلت أى أخى اقرأ على آيات من كتاب الله تعالى أسمعها منك وأوصنى بوصية احفظها عنك فانى

والاصل الذى عليه المعول
وهو كما قال أبو القاسم
القشيرى رحمه الله
الاخلاص افراد الحق فى
الطاعة بالقصد وهو ان
تقصد بطاعتك التقرب
الى الله دون شئ آخر من
تصنع لمخلوق أو اكتساب
محمدة عند الناس أو محبة
مدح من الخلق أو معنى من
المعانى سوى التقرب الى
الله قال ويصح أن يقال
الاخلاص تصفية الفعل
عن ملاحظة الخلق انتهى
وهو القصد فى هذا الباب
(فصل) واياك والرياء
فانه محبط العمل ويبطل
الثواب ويوجب المقت والعقاب
وقد سماه رسول الله صلى
الله عليه وسلم الشرك
الاصغر وفى الحديث الصحيح
عنه صلى الله عليه وسلم أول
خلق الله تصلى بهم النار
ثلاثة رجل قرأ القرآن
ليقال انه قارئ ورجل
استشهد وما قاتل الا ليقال
انه جرئ ورجل له مال
تصدق منه صدقة ليقال انه
جواد الحديث ومعناه والرياء
عبارة عن طلب المنزلة عند
الناس بعمل يتقرب به
الى الله كالصلاة والصيام
فان احسست من نفسك
بالرياء فلا تطلبن الخلاص
منه بترك العمل فتكون

أحملك فى الله فأخذ بيدى فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربى وأحق القول
قول ربى وأصدق الحديث حديث ربى ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما
الا بالحق الى قوله العزيز الرحيم فشهق شهقة وانا أحسبه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك
حيان ويوشك أن تموت أنت فاما الى الجنة واما الى النار ومات أبوك آدم وماتت أمك حوى يا ابن حيان
ومات نوح نبى الله ومات ابراهيم خليل الله ومات موسى كليم الله ونجى الله ومات داود خليفة الله ومات محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء ومات أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات أخى
وصديقى عمر بن الخطاب فقلت له يرحمك الله ان عمر لم يمت قال بلى قد نعاه الى ربى ونعى الى نفسى وانا
وأنت فى الموتى ثم صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ودعى بدعوات خفاف * ثم قال هذه وصيتى اياك
كتاب الله ونعى المرسلين ونعى صالحى المؤمنين فعليك بذكر الموت ولا يفارقن قلبك طرفة عين
ما بقيت وأنذر قومك اذا رجعت اليهم وأنصح الأمة جميعا واياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت
لا تعلم فتدخل النار وادع لى ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا زعم انه يحبنى فيك وزارنى من أجلك فعرفنى
وجهه فى الجنة وادخله على دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حيا وارضه فى الدنيا باليسير واجعله
لما أعطيته من نعمتك من الشاكرين واجزه عنى خيرا ثم قال السلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك
بعد اليوم يرحمك الله تطلبنى فانى اكره الشهرة واحب الوحدة لانى كثير الغم مادمت مع هؤلاء الناس
حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبنى واعلم انك منى على بال وان لم أرك وترنى واذكرنى وادع لى فانى سأدعو لك
واذكرك ان شاء الله تعالى خذ انت هاهنا حتى آخذ انا هاهنا فحرصت ان أمشى معه ساعة فابى على
وفارقته يبكى وابكى وجعلت أنظر اليه حتى دخل بعض السكك ثم سألت بعد ذلك وطلبته فلم أجد أحدا
يخبرنى عنه وما أتت على جمعة الا وأنا أراه فى منامى مرة أو مرتين وروى عن اصبغ رضى الله عنه قال
كان اويس رضى الله عنه اذا أمسى يقول هذه ليلة الركوع ويركع حتى يصبح ويقول هذه ليلة السجود
فيسجد حتى يصبح وكان اذا أمسى يتصدق بما فى بيته من الطعام والثياب ثم يقول اللهم من مات جوعا
فلا تؤاخذنى به ومن مات عريانا فلا تؤاخذنى به وروى عن النضر بن شميل رحمه الله تعالى قال كان
اويس يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها فيتصدق ببعضها ويأكل بعضها ويقول اللهم انى ابرأ اليك
من كل كبد جائع وروى عن عبد الله بن سلمة رضى الله عنه غزونا اذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه واويس القرنى معنا فلما رجعنا مرض علينا فحملناه فلم يستمسك فمات فنزلنا فاذا قبر محفور
وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه يعنى ودفناه ومشينا فقال بعضنا لبعض
لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا أثر وروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى رحمه الله تعالى قال نادى مناد
يوم صفين أفى القوم اويس القرنى فوجد فى القتلى من اصحاب على رضى الله عنه وعنهم اجمعين والله
أعلم انتهى ماذكره اليافعى رحمه الله تعالى مع حذف يسير وعن ذى النون المصرى رحمه الله قال بينما
أنا ببعض سواحل الشام اذ أنا بامرأة مقبلة فقلت لها من أين فقالت من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله فقلت لها والى أين فقالت الى أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت لها صفيهم لى فأنشأت
تقول

قوم همومهم بالله قد علقت * فما لهم همم تسمو الى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم * يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف * من المطاعم واللذات والولد
ولا للباس لثوب فائق انق * ولا لروح سرور حل فى بلد
فهم رهائن غدران وأود * وفى الشواهق تلقاهم مع العدد

وقيل للجنيد رحمه الله تعالى ان أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند وفاته فقال ليس بعجب ان تطير

قد أرضيت الشيطان بل
عليك ان تنظر فى كل عمل
لا تستطيع ان تعمله الا
حيث يراك الناس كالحج
والجهاد وطلب العلم وصلاة
الجماعة وما جرى مجرى
ذلك فعليك ان تفعله ظاهرا
كما امرك الله وجاهد نفسك
واستعن بالله وأما ما لا يكون
من الأعمال بهذه المثابة
كالصيام والقيام والصدقة
والتلاوة فعليك فى مثل
هذه الاعمال بالمبالغة فى
كتمانها فان فعلها فى السر
افضل مطلقا الا لمن امن
الرياء وأمل الاقتداء وكان
من أهله
* فصل * واحذر العجب
فانه من المحبطات قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم

روحه اشتياقا الى الله عزوجل وكان فى حالته تلك ينشد هذه الأبيات

حنين قلوب العارفين الى الذكر * وتذكارهم عند المناجات للسر
أديرت كؤس المنايا عليهم * فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذى السكر
همومهم جوالة بمعسكر * من أهل وداد الله كالانجم الزهر
فاجسادهم فى الأرض قتلى بحبه * وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم * وما عرجوا عن مس بوس ولا ضر

* ولما حضرت الجنيد رحمه الله الوفاة دخل عليه أبو محمد الجريرى رحمه الله فقال ألك حاجة قال نعم اذا مت فاغسلنى وكفنى وصل على فبكى الجريرى وبكى الناس معه ثم قال الجنيد وحاجة أخرى فقال ماهى فقال تتخذ لأصحابنا طعام الوليمة فاذا انصرفوا من الجنازة رجعوا الى ذلك حتى لا يقع لهم تشتت فبكى الجريرى ثم قال والله لئن فقدناك يا ابن العمين لا اجتمع منا اثنان أبدا قال أبو جعفر الفرغانى فكان كذلك الأمر بعد وفاة الجنيد وانما كان ذلك الاجتماع ببركة الشيخ رضى الله عنه قال الجريرى رضى الله عنه وكان فى جوار الجنيد رضى الله عنه مصاب فى خربة فلما مات الجنيد رحمه الله ودفناه رجعنا من جنازته فقدمنا ذلك المصاب فصعد موضعا عاليا وقال لى يا أبا محمد أترانى أرجع الى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد ثم انشأ يقول

وا أسفى من فراق قوم * هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرواسى * والخصب والأمن والسكون
ولم تتغير لنا الليالى * حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب * وكل ماء لنا عيون

ثم قال غاب عنا ذلك آخر العهد به رحمة الله عليهم * وقال بعض العلماء رأيت الامام الغزالى رضى الله عنه فى البرية وعليه مرقعة وبيده عكاز وركوة فقلت له يا امام أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا فنظر الى شزرا وقال لما بزغ بدر السعادة فى فلك الارادة وظهرت شمس أصول الوصول

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل * وعدت الى مصحوب أول منزل
ونادت بى الأشواق مهلا فهذه * منازل من تهوى رويدك فانزل

وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه فى وصف رجال الله وخلفائه فى أرضه من عباده أولئك هم الاقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها الى نظرائهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلا اولئك خلفاء الله تعالى فى بلاده ودعاته الى دينه هاه هاه شوقا الى رؤيتهم انتهى رضى الله تعالى عنه وعنهم أجمعين ونفعنا والمسلمين بهم أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون

العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلوات الله عليه ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والعجب عبارة عن نظر الانسان الى نفسه بعين التعظيم والى ما يصدر منها بعين الاستحسان وعنه نشأ الادلال بالعلم والتعاظم على الناس والرضى عن النفس وهو كما قال ابن عطاء الله رحمه الله اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس انتهى ومن رضى عن نفسه عمى عن عيوبها ومتى يفلح من يجهل عيوب نفسه شعرا وعين الرضى عن كل عيب كليلة

(الصنف الثالث وهم الأمراء والسلاطين والملوك والولاة لأمور المسلمين)

(القول فى نصيحتهم وتذكيرهم وتنبيههم وتحذيرهم)

(اعلم) ان الولاة لا بد منهم ولا غناء للناس عنهم وللولاية أمر خطر والولاة فى غاية الخطر فانهم ان قاموا بما يلزمهم من حق الله فيها وحق عباده وتعبوا ونصبوا وان ضيعوا ذلك هلكوا وعطبوا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته الحديث وقال عليه الصلاة والسلام انكم ستحرصون على الامارة وانها ستكون ندامة يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام اللهم من ولى من أمر أمتى شيأ فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيأ فرفق بهم فارفق به وقال عليه الصلاة والسلام مامن وال على الناس الاجىء به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فكه عدله

او

أو أو بقيه جوره وقال عليه الصلاة والسلام ليودن رجال لو أن ذوائبهم معلقة بالثريا ولم يلوا من أمر الناس شيأ وقال عليه الصلاة والسلام كم من متخوض فى مال الله تعالى بغير حق له النار يوم القيامة والوعيد الوارد فى حق من ولى أمر الناس ثم لم يأخذ بالعدل والانصاف ويجتنب الظلم والجور شديد هائل ولذلك زهد فيها المتقون وفر منها المشمرون الذين هم من خشية ربهم مشفقون ومن ابتلى منهم بذلك ولم يجد بدا منها فانه كان على غاية من الخوف والاشفاق والتحفظ والاحتياط حتى قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع ما كان عليه من كمال العدل ونهاية الاحتياط والاحتراز من يأخذها بما فيها يعنى الامارة وددت انى أنجو منها كفافا لا على ولا لى وكان من شدة خوفه من الاضاعة لشئ من أمور المسلمين وحسن النظر فيها لا ينام الا خفقات وهو قاعد ويقول ان نمت بالنهار ضيعت أمور المسلمين وان نمت بالليل ضيعت نفسى فكيف لى بالنوم بين هاتين وكان على رضى الله عنه اذا اجتمع فى بيت مال المسلمين المال دعاهم ففرقه عليهم حتى لا يبقى فيه درهم ثم يأمر بكنسه ونضحه بالماء ويصلى فيه ويقول كما يشهد على بجمع المال فيه يشهد لى بالصلاة * ولما ولى الأمر عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى سمع فى داره بكاء كثير فسألوا عن ذلك فقيل انه خير نساءه وجواريه بين أن لا يأتيهن أو الفراق وقال انى قد شغلت عنكن بما كلفته من القيام بأمر المسلمين فاخترن الاقامة معه فروى انه لم يغتسل من جنابة مدة خلافته الا مرتين وكانت خلافته قريبا من سنتين ونصف وأراد مرة أن يغتسل فأتى بقمقمة من نحاس فيها ماء حار وكان برد شديد فسأل على أى شئ سخنتم هذا الماء فقيل له على مطبخ العامة فأبى أن يغتسل به وأراد أن يغتسل بماء بارد فقال له الخادم ان اغتسلت بهذا الماء البارد أصبح الناس ولا خليفة لهم يعنى تموت من شدة البرد فقال كيف أصنع وهذا الماء لا يحل لى فقال الخادم تقوم الحطب الذى يوقد به على مثل هذا الماء وتجعله فى بيت مال المسلمين فقومه ورده فى بيت المال وسير الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم فى أمثال ذلك معروفة ومنتشرة يطول ذكرها ولكنه لم يتم ذلك ويثبت على وجهه كما يجب وينبغى الا للخلفاء الأربعة أبى بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان الشهيد وعلى المرتضى رضوان الله عليهم * وكانت مدة خلافتهم هى المدة التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا الحديث وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة فكانت هذه المدة هى مدة الخلفاء الاربعة مضافة اليها الايام التى استخلف فيها الحسن بن على سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى نحو من ستة أشهر فوفت بها الثلاثون سنة من حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن صالح الحسن بن على رضى الله عنهما معاوية بن أبى سفيان وبايعه حين رأى ما رأى وأبصر الذى أبصر وتم فيه رضى الله عنه ما وعد به جده رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه حيث قال عليه الصلاة والسلام ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فلم يكن فى مدة الاسلام من حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أيامنا هذه أيام ولا زمان فيه من العدل والاحسان واماتة الجور والعدوان واقامة الحق والدين وجهاد الكافرين والمعتدين تشبه ولا تقارب مدة خلافة الخلفاء الراشدين المهتدين التى هى الثلاثون سنة المنصوصة فى حديثه عليه أفضل الصلاة والسلام * ثم قد سار بنحو من سيرتهم وقريبا من منهاجهم الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الأموى رحمه الله ولكنها قصرت مدة خلافته ولقى من الناس ومن أهل بيته خصوصا مشقة وتعبا وشدة ومعاناة ومقاساة لان الناس قد بعد بهم العهد عن زمان العدل واقامة الحق وذلك من حين صالح الحسن بن على وبايع لمعاوية رضى الله عنهم الى أن ولى عمر بن عبد العزيز وذلك نحو من ستين سنة فاندرست فى هذه المدة أكثر سنن العدل والانصاف وظهرت شعائر الظلم والجور ومال الناس عن الصواب فتعسر ذلك وصعب على عمر بن عبد العزيز رحمه الله اعادتهم وارجاعهم الى مثل ما كان عليه الحال والعهد به من أيام الخلفاء الراشدين أن يدعو رضوان الله عليهم أجمعين حتى انه بلغنا

كأن عين السخط تبدى المساويا

* فصل * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة فاذا كان حبها رأس كل خطيئة واصل كل بلية وأساس كل رزية ومعدن كل فتنة ومنبع كل محنة وهو امر قد عم فى هذا الزمان ضرره وطار شرره وعظم خطره واطبق عليه الخاص والعام وتظاهر الناس به بلا احتشام كانه لا عار فيه ولا ملام وقد تمكن من قلوبهم كل التمكن فانتهض لهم الحرص البالغ على عمارة الدنيا وجمع الحطام فغدوا وراحوا بشبكاتهم لاصطياد الشبهات والحرام

ان عمر بن عبد العزيز سأل من بعض عباد الله الصالحين أن يدعو له بالموت لما اشتد عليه أمر الناس وثقل عليه القيام بالحق والعدل كما ينبغي فتخير الموت والانتقال الى الدار الآخرة التى هى خير وأبقى وليس ذلك منه عن جزع وتبرم ولكن خوفا واشفاقا من أن يستقبله الكارهون لأمر الله تعالى واقامة العدل فى عباده من المحبين للجور والظلم وأكل أموال الناس بالباطل بأمر لا يطاق ويؤل الى فتنة واختلاف وفرقة فتخير ما عند الله على ذلك وقد سبقه الى ذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه حيث اختلف عليه أهل العراق ورأى منهم ما رأى من التباطئ عن نصرة الحق ومجاهدة أهل البغى حتى روى انه قال اللهم أرحنى منهم وأرحهم منى ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فشكا عليه ما لقى من الامة من الاختلاف والمنازعة فقال له عليه الصلاة والسلام ادع الله عليهم فقال على رضى الله عنه اللهم أبدلنى خيرا منهم وأبدلهم شرا منى ولما بلغت ملك الروم وفاة عمر بن عبد العزيز رحمه الله شق عليه ذلك وقال فيه كلاما حسنا يثنى به عليه وقال فى آخره ولكن لا يبقى اهل الخير مع أهل الشر الا قليلا او كما قال ثم انه لم يكن فيمن استخلف على المسلمين من الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم وبعد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من سار بالسيرة المرضية المحمودة المستقيمة لا من بنى أمية ولا من بنى العباس رضى الله عنه الا أن بنى أمية كانوا أضيع لامر الله واشد تهاونا بحرماته وأقل تعظيما لشعائره من بنى العباس وبينهم فى ذلك تفاوت بعيد وتباين بين والى الله العظيم مآل الجميع وعليه حسابهم وهو عليم بما يفعلون وسيجزيهم بما كانوا يعملون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وحيث قد صار متعذرا أو متعسرا على من ولى شيأ من أمور المسلمين ان يسير فيهم بسيرة أهل العدل والاحسان المجانبين للظلم والعدوان فيتعين على كل من كان منهم حريصا على ابتغاء رضوان ربه وثوابه ومشفقا من سخطه وعقابه ان يكون فى سيرته وفى جميع افعاله وأقواله مقتديا ومتأسيا بأئمة الحق والهدى والعدل والانصاف ما وجد الى ذلك سبيلا باذلا فيه ما يمكنه ويستطيعه من غير ميل الى اتباع الهوى وايثار الدنيا على العقبى * وأقل ذلك أن يكون فى سيرته فى جميع أموره الى ولاة العدل والاحسان اقرب وأشبه منه بولاية الجور والطغيان والظلم والعدوان وليكن معترفا بتقصيره وخائفا مشفقا على نفسه من تخليطه وتفريطه غير مغتر بربه ولا معجبا بنفسه ولا ظانا ولا متوهما ان له قدما مع ولاة العدل والحق والانصاف فلعله بذلك يتخلص وينجو وان كان النجاة والخلاص من أبعد شئ وأعزه فى حق ولاة هذه الأزمان والاعصار على انه قد يغلب على كثير منهم الاعجاب بأنفسهم والاغترار بربهم وان كانت سيرتهم قبيحة وأعمالهم سيئة منكرة وذلك من شؤم تلبيس الشيطان عليهم وسوء خداعه وخفى سعيه فى هلاكهم فانهم لو شهدوا تقصيرهم واعترفوا بتخليطهم وانهم لم يقوموا بما يجب عليهم من حق ربهم وحق من استرعاهم من عباده وولاهم أمرهم من خلقه لربما رجعوا اليه وتابوا مما هم فيه واستغفروا ربهم لذنوبهم * فأول ما يجب عليهم الاعتراف بالاقتراف والتقصير والعزم على التوبة منه الى الله تعالى ومن أهم المهمات على من ولى شيأ من أمور المسلمين ان يتبصر فى الدين ويتعلم ما لا بد له من علمه من علوم الايمان وعلوم الاسلام ليعرف ما فرض الله عليه من طاعته وما حرم عليه من معصيته وما أوجب عليه سبحانه وتعالى من حق ربوبيته فى نفسه وفى حق من ولاه أمرهم من عباده فان العالم يعرف ذلك ويهدى اليه والجاهل بصدد كل شر واضاعة والجهل قبيح بكل واحد ولكنه برؤساء الناس وأرباب المراتب منهم أشر وأقبح لانهم لانفسهم ولغيرهم ثم على الوالى أن يكون من أحرص الناس على اقامة فرائض الله تعالى واجتناب محارمه وتعظيم شعائر دينه وحرماته وعليه ان يأمر رعيته بذلك ويحثهم عليه فان الله تعالى ما ولاه أمر عباده الا ليقيم فيهم دينه وما أمر به من طاعته وحرماته من معصيته وأما ما يدور على الولاة من أمور الدنيا والمعاش فهو تابع لذلك ولاحق به والاصل هو السعى فى اقامة الدين وأمر الله فى عباده * وعلى الوالى أن يحرص على ازالة المنكرات ومحو آثارها ولا يمكن أحدا من

كأن الله قد فرض عليهم عمارة الدنيا كما فرض الصلاة والصيام ولذلك درست معالم الدين وطمست انوار اليقين وخرست ألسنة المذكرين وعفيت سبل الهدى واقتحمت سبل الردى وهذه والله هى الفتنة العمياء الصماء المدلهمة السوداء التى لا يجاب فيها من دعا ولا يسمع فيها من نادى حق ما أخبر به سيد الانبياء اذ يقول لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال ولكل أمة عجل وعجل أمتى الدينار والدرهم معناه والله أعلم ان لكل أمة شيأ يشتغلون به عن عبادة الله تعالى كل الاشتغال كما اشتغلت

التظاهر بها ومن أظهر من ذلك شيأ زجره أبلغ الزجر وعاقبه أشد العقوبة على حسب ما يقتضيه الشرع الشريف أو السياسة السلطانية كل ذلك مع أهله وفي محله وعليه ان يقيم حدود الله على عباده اذا قامت الحجة وصحت بها البينة مثل حد الشرب للخمر والسرقة وغيرهما ولا يتساهل في ذلك ولا يقصر عنه * وفي الحديث حد يعمل به في الارض خير لاهل الارض من ان يمطروا أربعين صباحا وفي اقامة حدود الله على المعتدين لها ولغيرهم من الزجر عن الباطل والمنكر ما لا مزيد عليه وبذلك تصلح أحوالهم وتحسن طرائقهم وفيه من اخافة الظالمين ورد المعتدين وردع الفاسقين ما تحمد عواقبه وتحسن آثاره قال عثمان ابن عفان رضي الله عنه ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن أي ان الذين يمنعهم القرآن عن محارم الله وهم الذين بحيث لو لم يكن سلطان لكان تقواهم لله وخوفهم منه يمنعهم من ترك ما عليهم من حق ربهم ويردعهم عن الوقوع فيما حرمه عليهم وأخذ ما ليس لهم وأما الكثير من الناس فهم الذين يردهم خوف السلطان عن التعدي وأخذ ما ليس لهم بحق ولولا خوفهم من السيف والسوط ونحوهما لم ينكفوا ولم يرعووا ولقصور نظرهم على أمور الدنيا وأحوال المعاش وقد قيل الدين أس والسلطان حارس وما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع وقيل أيضا الدين والملك توأمان ثم ان كان السلطان الذي هو قائم بالملك عادلا مصلحا كانت أخوة ملكه للدين صحيحة مسلمة وان كان السلطان انما رغب في الملك وتقلده وحرص عليه ليحصل لنفسه الرياسة والرفعة على الناس وليكون نافذ الامر مسموع الكلمة رغبة في الدنيا وشهواتها كانت اخوة الملك الذي هو صاحب للدين غير صحيحة ولا حقيقية بل هي صورية مجازية وما يتفق ويقع من الملك الذي هذا وصفه في حفظ أمور الدين وحماية أمور المسلمين وامنهم على أنفسهم وأموالهم فذلك بحكم الاتفاق والتبعية لتوقف استقامة الملك والرياسة الذي هو بصددها على ذلك وافهم هاهنا قوله عليه الصلاة والسلام ان الله يؤيد هذا الدين بالبر والفاجر وفي رواية بالرجل الفاجر وفي رواية بأقوام لا خلاق لهم وفي رواية برجال ما هم من أهله وأكثر ملوك هذه الازمنة بل وازمنة قد خلت انما نيتهم الدنيا ونيل الرياسات فيها والتمتع بالشهوات منها وقد ارتبط بقيامهم في ذلك خيرات كثيرة ومصالح دينية ودنياوية من أمن البلاد والعباد وقهر أهل الفساد والبغي والعناد فسبحان الله العليم الحكيم المدبر العظيم وقد قال عز من قائل كريم ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين * وفي الآية الاخرى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز وذلك عام فيمن نيته الآخرة والدين من الدافعين وفي من نيته الدنيا والرياسات والشهوات العاجلة الفانية قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا وأعمالهم وأقوالهم وظواهر أحوالهم تدل على نياتهم ومقاصدهم وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وينبغي للسلطان وفقه الله تعالى أن يكون شفيقا رفيقا في موضع الرفق ومع من يحسن معه ذلك من الضعفاء والمساكين والمظلومين وذوي الحاجات وأن يكون فيه شيء من الشدة والغلظة على الظالمين والمتجبرين وأهل البغي والتعدي حتى تقوم له الهيبة في صدورهم وتتقيد من خوف السطوة أيديهم ويكون ذلك كله من الرفق والشدة بقدره في موضعه ومع أهله وذلك من حسن السياسة فليكن السلطان أصلحه الله عارفا بطرائقها ومواقعها فعلى حسن السياسة والعلم بها مدار كبير في أمور الولايات واستصلاح الرعايا وهي من ثمرات العقول الراجحة والعلوم الغزيرة ولذلك لا يحسنها ويقوم بها كما ينبغي الا من كمل في علمه وعقله وبصيرته وصبره ولذلك لم يوصف به من الملوك والسلاطين اسلاما وجاهلية الا الآحاد منهم والافراد * قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى سياسة الناس أشد من سياسة الدواب وذلك بين لا خفاء به * وعلى السلطان أصلحه الله أن يفتح الباب ويسهل الحجاب ليتيسر الوصول اليه لمن أراده ورغب فيه من المتظلمين وذوي الحاجات ثم ما أمكنه المباشرة له من ذلك بنفسه باشره وما لم يمكنه مباشرته لشغل هو أهم منه وأصلح للمسلمين فينبغي له أن يقيم فيه ويستكفي من

بنو اسرائيل بعبادة العجل عن عبادة الله تعالى فمن الحسن أن نختم هذه النبذة بشيء مما ورد في ذم الدنيا وذم مؤثرها وينبغي أن نصدر ذلك بقاعدة يعول عليها ويرجع اليها فنقول وبالله التوفيق الدنيا على ثلاث طبقات فدنيا فيها الثواب وأخرى فيها الحساب وثالثة فيها العذاب فأما التي فيها الثواب فهي التي تصل بواسطتها الى الخير وتنجو بواسطتها عن قلع الشر وهي مطية المؤمن ومزرعة الآخرة وهي الكفاف من الحلال واما التي فيها الحساب فهي التي لا تشتغل بسببها عن أداء مأمور ولا ترتكب في

يثق به فى دينه وكفايته من وزرائه ووجوه دولته وعليه أن لا يوسط بينه وبين رعيته ولا يستعمل عليهم الا أهل الخير والدين والأمانة والصيانة فان السلطان بوسائطه وعماله الذين يكونون بينه وبين الناس فمهما كانوا أخيارا وأمناء بلغوا عنه وبلغوا اليه الأمور على ما عليه من غير تغيير ولا زيادة ولا نقصان ومهما كانوا أشرارا مفسدين خونة بلغوا اليه الامور على حسب اهوائهم ووفق اغراضهم الفاسدة فتلتبس بسبب ذلك الأمور وتضطرب الاحوال وينسب ما يصدر منهم الى السلطان مما يستحسن أو يستقبح فليتحرز السلطان غاية التحرز وليتحفظ نهاية التحفظ من وسائط السوء وعمال السوء وعليه أيده الله تعالى أن يظهر من نفسه الرغبة فى الخير والطاعة واقامة أمر الله فى عباده ومحبة العدل والانصاف وكراهية الظلم والجور حتى يتقرب اليه أعوانه والمتصلون به بفعل مثل ذلك واظهار العمل به ويرفعون اليه ما عرفوا منه الرغبة فيه وحب القيام به من تلك الخيرات والمبرات فقد قالوا السلطان كالسوق يجلب اليها ما ينفق فيها ومعناه انه ان عرف منه الميل الى العمل بالحق والخير أكثر أعوانه من ذكر ذلك عنده وتقربوا اليه بالمعاونة وان عرف منه ضد ذلك كان الامر منهم على وفق ما يناسبه ويتفق عنده وهو الامر قد عرف بالمشاهدة والتجربة وفى قريب منه قيل الناس على دين ملوكهم ثم من ظهر له منه من وسائطه وعماله حسن النصيحة والامانة والكفاية زاد فى تقريبه واكرامه واعلاء منزلته ومن ظهر منه غش وخيانة واضاعة حذره من ذلك وهدده فان انزجر والاحط منزلته وعزله وابعده فانه لا خير فى اهل الغش والخيانة والاضاعة بل هم السبب فى تخريب الممالك واهلاك الرعايا واجتراء الاعداء وليتخذ السلطان ايده الله وزيرا عاقلا صالحا ناصحا وفى الحديث اذا أراد الله بالامير خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر اعانه واذا أراد به سوأ جعل له وزيرا غير صالح ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه وليحترز والى الامر من الظلم فانه اساس الخراب واصل الفساد وسبب الدمار والبوار واذا عرف به وانتشر عنه كرهته الرعية ونفرت عنه واحبت زواله وهلاكه وانطلقت السنتها بذمه والدعاء عليه وقال عليه الصلاة والسلام خيار امرائكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشر أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم الحديث ومعنى الصلاة هاهنا الدعاء لهم وقال عليه الصلاة والسلام يد الله على الامير ما لم يجر فاذا جار رفع الله عنه يده وقال تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا والقاسطون هم الجائرون وأما المقسطون فهم أهل العدل والانصاف * وليعلم السلطان اصلحه الله انه لا يحل له فى أموال المسلمين قليل ولا كثير وان الضرائب المضروبة عليهم من الجبايات والمكوس والعشور كلها من الظلم الفاحش والجور الشنيع والاموال التى تحل له ولأعوانه انما هى أمور المصالح من الاموال التى لا مالك لها معين ومن مات ولا وارث له وما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية ونحوها واشباه ذلك من الاموال وقد ذكر الامام حجة الاسلام رحمه الله تعالى فى كتاب الحلال والحرام من الاحياء وجوه الدخل التى منها يكون اموال السلاطين وحصرها فى عشرة اقسام وبينها بيانا حسنا وعليه اصلحه الله أن يجتنب الاسراف والتبذير حتى لا تدعوه الحاجة الى اخذ أموال المسلمين واستلاب ما فى أيديهم والله تعالى انما ملكه وولاه عليهم ليحفظ انفسهم واموالهم ويحرسها عن الظالمين والمعتدين فاذا ظلمهم هو واغتصبهم ما فى ايديهم فمن الذى يحفظها ويرد اهل العدوان وقد صار الحافظ معتديا والحارس مضيعا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعلى والى الامر اصلحه الله تعالى ان يحرص كل الحرص على نصرة المظلوم والقيام مع الضعيف حتى يأخذ له حقه من القوى وليجتهد كل الاجتهاد وان يكون ناصحا للرعية باذلا وسعه فى حمايتهم والذب عنهم ولا يغشهم ولا يطمع فيهم ولا يستكثر لهم ما فى ايديهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر ويحرص كل الحرص على ايصال النفع لهم ودفع الضر عنهم فيما يتعلق بامور دينهم وأمر معاشهم فان الله تعالى انما أقامه لذلك وفى الحديث ايما وال ولى ولم يحط رعيته بالنصيحة الا حرم الله عليه الجنة الحديث ومهما كان الوالى مصلحا حسن الرعاية جميل السيرة كان

طلبها أمرا محظورا وهذه الدنيا فيها الحساب الطويل وأربابها هم الاغنياء الذين يسبقهم الفقراء الى الجنة بنصف يوم وهو خمسمائة عام وأما التى فيها العذاب فهى التى تقطع عن أداء المأمورات وتوقع فى ارتكاب المحذورات وهى زاد صاحبها الى النار ومدرجته الى دار البوار واليه الاشارة بما روى ان الله يأمر بالدنيا الى النار فتقول يارب أشياعى وأتباعى فيقول سبحانه وتعالى ألحقوا بها أشياعها وأتباعها فيلحقون بها (واعلم) ان طلاب الدنيا على أنواع فمنهم من يطلبها على نية صلة الأقربين ومواساة المقلين

على الرعية ان يعينوه بالدعاء له والثناء عليه بالخير ومهما كان مفسدا مخالطا كان عليهم ان يدعوا له بالصلاح والتوفيق للاستقامة وان لا يشغلوا السنتهم بذمه والدعاء عليه فان ذلك يزيد فى فساده واعوجاجه ويعود وباله عليهم قال الفضيل رحمه الله لو كانت لى دعوة مستجابة لم اجعلها الا للامام لان الله اذا أصلح الامام أمن العباد والبلاد وفى بعض الآثار عن الله تعالى انه قال انا الملك وقلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليه نعمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك وسلونى أعطف قلوبهم عليكم الاثر بمعناه ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم امراء الجور وقيل له أفلا ننابذهم يارسول الله قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة وقال ان احسنوا فلكم ولهم وان أساؤا فلكم وعليهم وفى حديث آخر أدوا الذى عليكم واسألوا الله الذى لكم واغما نهى عليه الصلاة والسلام عن منابذتهم ونزع اليد من طاعتهم لما يترتب على ذلك من الفتن والبلايا العامة التى يكون فيها اهلاك الانفس والاموال وقيل سلطان غشوم خير من فتنة تدوم * ومن الولايات الخطرة تولى القضاء بين الناس فعلى من بلى بذلك ان يتأنى و يتثبت و يجتهد بين عباد الله بما انزل الله ولا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله وفى الحديث من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين وفى الحديث ايضا قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قاض قضى بالحق وهو يعلم فهو فى الجنة وقاض قضى بالباطل وهو لا يعلم او يعلم فهما فى النار فليتحفظ القاضى ارشده الله غاية التحفظ من المحاباة والمداهنة ومراعاة خواطر الناس وليراقب الله تعالى وحده وليقض بالحق الذى اراه الله فان التبس عليه امر فليتثبت حتى تبين له الحق فان استبان والا فيعدل عن القضاء فى تلك الوقعة الى الصلح الواقع على التراضى والاختيار من غير اكراه ولا اجبار وليعلم ان أمر القضاء خطر مخوف الى الغاية ولذلك حذر منه الأئمة الأعلام من السلف الصالح مثل الامام سفيان الثورى والامام أبى حنيفة وأشباههما وعرضوا أنفسهم بسبب الامتناع للضرب والحبس والفرار فى البلاد وذلك مشهور من سيرهم ولم يزل أهل الحزم والاحتياط من أهل العلم يفرون من تولى القضاء ويمتنعون منه أشد الامتناع خوفا على أنفسهم واحتياطا لدينهم * وقد ولى قاضى القضاة الشيخ المحقق اسماعيل بن محمد الحضرمى اليمنى وولى بعض اصهاره قضاء زبيد ثم انه دخل عليه فى بعض الأيام فرأى عنده ثيابا لم يكن يراها عنده قبل أن يوليه القضاء فقال له من أين لك هذه فقال له من بركتك يا أبا الذبيح فقال له ذبحنى الله ان لم أعزلك فعزله وحكاياتهم فى مثل ذلك كثيرة مشهورة وفى تخويف القضاة وتحذيرهم قيل شعر

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضى الارض داهن فى القضاء
فويل للامير وكاتبيه * وقاضى الارض من قاضى السماء

وليحذر كل الحذر من قبول الرشوة على الاحكام فان ذلك من اعظم الآثام وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى والرائش هو الساعى بينهما ومن الولايات الخطرة التولى على أموال الايتام واشباهها من الاوقاف والصدقات قال عليه الصلاة والسلام لابى ذر رضى الله عنه يا اباذر انى أراك ضعيفا وانى احب لك ما احب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وقد عد عليه الصلاة والسلام أكل مال اليتيم من الكبائر الموبقات وقال الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن وقال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وأما الاوقاف والصدقات فينبغى للشفيق على دينه أن يتباعد عنها وان لا يتولى على شئ منها فان بلى بشئ من ذلك فليتق الله فيه وليبالغ فى حفظها وحسن القيام والنظر عليها أولا ثم يصرفها فى مصارفها ويضعها فى مواضعها فانه قد يأثم من المتولين لنحو الأوقاف والصدقات من لا يخون فيها ولا يأخذ منها شيئا ولكنه يضيعها ولا يحسن الحفظ لها فلابد فى ذلك مع الامانة من حسن الحفظ والكفاية فالمضيع والخائن سيان فى الاثم والتعدى ثم ان الوالى المتصف بالعدل والاحسان السائر فى رعيته بالسيرة الحسنة المرضية عند الله بمكان له وفى حسن قيامه بذلك من الله الثواب العظيم والجزاء الكريم فليصلح فى ذلك نيته وليقم فيها

وهذا يعد من الأهواء وله ثواب ان وافق عمله نيته ولكنه لا حكمة عنده لان الحكيم لا يطلب أمرا لا يدرى ماذا يكون الحال عند حصوله وليعتبر من يطلبها على هذه النية بقصة ثعلبة المشار اليه فى قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآيات وكم من طالب نيته نيل الشهوات والتمتع باللذات وهذا يعد فى جملة البهائم و يدخل فى حيز الانعام والى نوعه الاشارة بقوله تعالى أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا وكم من طالب يطلب الدنيا ليفاخر بها

صابر محتسب بالوجه الله تعالى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل
الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله الحديث وقال عليه السلام من اجلال الله تعالى اجلال ذى
الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه والسلطان المقسط وقال عليه السلام يوم من سلطان
عادل أفضل من عبادة ستين سنة وقال عليه السلام السلطان ظل الله فى أرضه يأوى اليه المظلومون
وقال عليه السلام المقسطون على منابر من نور يوم القيامة الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا
وقال عليه السلام ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم وأما اذا جار الامام
وظلم فانه بأشر المنازل وأسوأ الأحوال وعليه يتضاعف العقاب والعذاب بعدد من ظلمهم من خلق الله
واضاع حقوقهم وأهمل أمورهم ولم يمنع بعضهم من ظلم بعض الى غير ذلك من الذنوب التى يتعرض لها
ولاة السوء وأمراء الجور وقد قال عليه السلام هذا الأمر فى قريش ما اذا استرحموا رحموا واذا حكموا
عدلوا فان لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
عليه السلام يجاء بالامام الجائر يوم القيامة فتخاصمه الرعية فيفلجون عليه فيقال له سد ركنا من أركان
جهنم وقال عليه السلام انه سيكون من بعدى أمراء من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى
ولست منه وليس بوارد على الحوض ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وهو
وارد على الحوض فاذا كان هذا حال من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فى الشر فكيف يكون حال
هؤلاء الأمراء فى أنفسهم نعوذ بالله من البلاء ونسأله العافية فى الدنيا والآخرة وأن يجعلنا من أهل
العدل والاحسان العاملين بطاعته وما يرضيه فى السر والاعلان (واعلم) انه يجب ويتعين على من ولى
أمرا من أمور المسلمين أن يعدل فيمن ولاه الله أمرهم وأن ينصح لهم فكذلك يجب على كل أحد أن يعدل فى
رعيته الخاصة به من أهله وأولاده وما ملكت يمينه وقد قال عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم
مسؤل عن رعيته وقد ورد ان الانسان يكتب جبارا وما يملك الا أهل بيته أى فيجور عليهم وورد أيضا
ان أهل الانسان وولده يتعلقون به يوم القيامة فيقولون يا ربنا خذ لنا حقنا منه فانه لم يعلمنا ما يجب
علينا من حقك فعليه أن يعلمهم ما يلزمهم من طاعة الله وفرائضه واجتناب محارمه ويحملهم على القيام
بذلك فعلا وتركا وعليه ان لا يظلمهم حقوقهم التى جعلها الله عليه لهم وان لا يمكن بعضهم من ظلم بعض
ويأخذ للمظلوم منهم من ظالمه وأما المملوك فعليه أن يقوم له بطعامه وكسوته وان لا يكلفه من العمل
والخدمة مالا يطيق وان لا يضربه ولا يشقه بغير حق فانه ان فعل ذلك اقتص له منه يوم القيامة كما وردت
بذلك الاخبار وان كان فى ملكه شىء من البهائم وجب عليه ان يتعهده ويحسن النظر عليه فى علفه وسقيه
ونحو ذلك يتولى ذلك بنفسه أو يوليه من يثق به من أولاده وخدمه وفى الحديث اتقوا الله فى هذه البهائم
اركبوها صالحة أو كما قال وورد فى الخبر ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها حتى ماتت لاهى أطعمتها
وسقتها ولاهى تركتها تأكل من حشاش الأرض وبالله التوفيق والاعانة وعليه التكلان ولا حول
ولا قوة الا بالله تبارك وتعالى

﴿ الصنف الرابع وهم التجار والزراع والصناع والمحترفون وأشباههم من المباشرين لأحوال
المعاش والمشغولين بالسعى له وبعض هذه الأشياء تعد فى فروض من الكفايات المعاشية
والمعادية سيما ماهو منها عماد الأصول كالزراعة والحياكة ونحوهما ﴾

القول فى نصيحتهم وتذكيرهم وتنبيههم وتحذيرهم قال الله تبارك وتعالى ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا
لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون وقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات الآية فسعى الانسان على نفسه وعلى من يلزمه السعى عليه من أهل وولد لطلب الحلال
مأمور به وفى الحديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وفيه أيضا من أمسى كالا من عمل الحلال
أمسى مغفورا له وفى الخبر أو الأثر ان الله يحب المؤمن المحترف ويبغض السبهلل الذى لا هو فى عمل

ويكاثر بها أو يباهى بها وهو
معدود من الحمقاء المغرورين
بل من الهالكين المثبورين
وقد علم كل أناس مشربهم
وربك يعلم ما تكن صدورهم
وما يعلنون فافهم يا أخى
لنفسك واياك أن تغشها
فتدعى أمرا ليس من شأنك
فتكون قد جمعت بين
الافلاس والدعوى فتخسر
الدنيا والآخرة ذلك هو
الخسران المبين * اذا تقرر
هذا فلنشرع فى الخاتمة
ونقول خاتمة تحتوى على
آيات من كتاب الله وأخبار
من سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وآثار من حكمة
أولياء الله تدل على حقارة
الدنيا وسرعة زوالها وعلى
حماقة من اغتر بها وركن

الدنيا ولا فى عمل الآخرة وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعى على نفسه ليكفها عن مسئلة الناس وعلى أهله وأولاده الضعفاء كالمجاهدين فى سبيل الله وفى الحديث التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين ولكن على التاجر فى تجارته والصانع فى صناعته وظائف يلزمه القيام بها امافرضا واما ندبا متأكدا فأول ذلك ان يتعلم من العلم مايعرف به مافرض الله عليه وندبه اليه فى تجارته أو حرفته وصناعته والا وقع فى المحرمات والشبهات وصار بذلك فى سبيل الشيطان وليس فى سبيل الرحمن فعلى التاجر ان يتعلم من أحكام البيع والشراء والربا والسلم والقرض والرهن والاجارات ونحوهما والمعاملات التى تقع له كثيرا مالا بدله من علمه ولا يباشر شيأ من المعاملات حتى يعلم حكم الله فيه وكذلك يجب على الصانع والمحترف أن يتعلم حكم الله فى صناعته وحرفته ومايجب عليه فيهما من النصيحة للمسلمين والا اثم ووقع فى الحرج وليجتنب الكذب والخلف فى الوعد فانه قدورد ويل للتاجر من لا والله وبلا والله وويل للمحترف من غد وبعد غد ومما ينبغى ويتأكد على التاجر والمحترف اصلاح النية فيما يباشرونه ويتعاطونه من أسباب التجارات والصناعات وأن تكون نياتهم فى ذلك العفاف وتحصيل الكفاف وكف النفس عن مسئلة الناس والتشوف الى مابأيديهم والقيام بمن يلزمهم القيام بهم من الأهل والأولاد ونحوهم ليكونوا بهذه النيات من العاملين بطاعة الله تعالى والساعين فى ابتغاء مرضاته وثوابه وأن يقصدوا مع ذلك صلة الأرحام والتصدق على الفقراء والمحتاجين واعانة الضعفاء والمساكين عما فضل عن حاجاتهم وحاجات من يلزمهم القيام بهم فنية المؤمن خير من عمله وقد يبلغ بالنية اذا صلحت مالا يبلغه بالأعمال والنية تتيسر على كل أحد اذلا كبير مؤنة فيها والأعمال قد يتعسر القيام بها فى بعض الأحيان فان نوى التاجر والمحترف بتجارته وحرفته اعانة المسلمين وتسهيل الوصول الى الأشياء التى هو بسبيلها وساع فيها لم يخل من ثواب وان كان انما يعطيهم ذلك بمقابلة ومعاوضة منهم فان فضل الله واسع وكرامه فائض ومن المهم المتعين على أهل التجارات والصناعات ان لا يشتغلوا بها عن اقامة الصلاة المفروضة بحيث يخرجونها عن أوقاتها أو يصلونها باستعجال واستيفاز يحصل به اخلال بما يجب من اتمام ركوع أو سجود ونحوهما من اركانها فان البعض منهم قد تحمله شدة الحرص على سرعة العود الى تجاراتهم وصناعاتهم على مثل ذلك وهو من المحرمات المحظورة فى الدين بل ومن المتأكد عليهم ان لا يؤخروا الصلوات عن أوائل أوقاتها وعن فعلها فى الجماعات فان ذلك كله أى تأخير الصلاة عن أوائل الأوقات وتفويت الجماعات من الخسران فى الدين الذى لا تقابله الدنيا كلها لو أعطيها أحدهم وان لا يقصروا فى رواتب الصلوات ووظائف الخيرات ونوافل العبادات التى تمكنهم المداومة عليها وان يكون أحدهم فى حين مباشرته لتجارته أو صناعته تاليا للقرآن أو ذاكرا لله لا يشغله عن ذلك الا أمر مهم ليس اللهو واللغو والاستغراق بحديث الدنيا فان الجمع بين التلاوة للقرآن والذكر لله بين مباشرة أسباب التجارة والصناعة ممكن ومتيسر فى أكثر الأحوال أو الكثير منها لمن وفقه الله تعالى وأهمه أمر دينه وأحوال آخرته ومعاده ومن الواجب المتأكد على أهل التجارات والحرف والصناعات اجتناب الكذب والغش فى تجاراتهم وصناعاتهم فقد قال صلوات الله وسلامه عليه من غشنا فليس منا حين رأى الصبرة من الطعام وادخل يده الشريفة فيها فاصابت بللا فقال ياصاحب الطعام ماهذا فقال اصابته السماء يارسول الله يعنى المطر فقال هلا جعلته ظاهرا ينظره الناس من غشنا فليس منا ومن الكذب الشديد التحريم على التجار والصناعات ان يقول أحدهم آخذته بكذا واعطيت به كذا وهو كاذب يخدع بذلك أخاه المسلم ويغشه فربما صدقه الآخذ منه ثقة به فيظلمه ويأكل ماله بالباطل وعليهم ان لا يكثروا الحلف بالله على سلعهم وصناعاتهم وان كانوا فى ذلك صادقين فان الله أعز وأجل من ان يحلف باسمه على أمر من أمور الدنيا وأما الحلف بالله تعالى مع الكذب والفجور فذلك من الكبائر وفى الحديث ان الله يبغض البياع الحلاف وان الذى يحلف بالله فاجرا ليروج بذلك متاعه أحد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا

الى محالها وتحمل على الزهد
فى الدنيا من نظر فيها وكان
له قلب أو ألقى السمع وهو
شهيد قال الله تعالى
وقوله الحق وكلامه الصدق
انما مثل الحياة الدنيا
كماء أنزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض
مما يأكل الناس والأنعام
حتى اذا أخذت الارض
زخرفها وازينت وظن
أهلها انهم قادرون عليها
أتاها أمرنا ليلا أو نهارا
فجعلناها حصيدا كأن لم
تغن بالامس كذلك نفصل
الآيات لقوم يتفكرون
وقال تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم
أيهم أحسن عملا وانا
لجاعلون ما عليها صعيدا

يزكيهم ولهم عذاب أليم وقال عليه الصلاة والسلام اليمين منفقة للسلعة ممحقة للبركة وفى رواية للكسب وقال عليه السلام البيعان بالخيار مالم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما وان كذبا وكتما محقت بركة بيعهما فعلى اهل التجارات والصناعات ان يبينوا مافيها من العيوب التى لا يعرف الا بتعريفهم وبيانهم فان لم يبينوا فقد غشوا وظلموا وهما اذا عاملوا من لا يحسن المعاملة لغباوته اوضعفه فعليهم ان ينظروا له ويبالغوا له فى النصيحة ويعاملوه معاملة من يحسن المعاملة من اهل الحذق والمعرفة بامور ذلك المتاع الذى يرغب فيه ذلك الضعيف الذى لا يحسن لا يسعهم الا ذلك ولا يسلموا من سخط الله الا به ولا يجعلوا ذلك الضعيف الذى لا يحسن فرصة ينتهزونها وغنيمة يغتنمونها كما يقع فى ذلك من لا يخشى الله ولا يتقيه من الصناع والتجار وليحذر التجار كل الحذر من تطفيف الكيل وبخس الميزان فان ذلك من المحرمات الشنيعة قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون الى قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وقال عليه السلام يامعشر التجار انكم وليتم امرا اهلكت فيه الامم من قبلكم المكيال والميزان او كما قال عليه السلام وكان بعض السلف اذا وزن لغيره أرجح حبة واذا وزن لنفسه نقص حبة اى من النقد وكان يقول لا أشترى الويل من الله بحبة وليحذر التاجر من الاحتكار ومن ترويج النقد الزائف على الناس ومن المعاملات الباطلة والبيوع المكروهة فان ذلك ان نفعه فى دنياه فانه سوف يضره فى دينه وآخرته ضررا عظيما ثم انه يؤل به فى دنياه الى المحق والهلاك وسوء العواقب فى جميع أحواله فاما الاحتكار فهو ان يشترى الطعام ونحوه فى حين حاجة الناس اليه بنية الادخار له الى حين يغلو وردان المحتكر ملعون والجالب مرزوق وهو الذى يشترى ليبيع فى وقته وينتفع بربح يسير وورد ان من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم يكن تصدقه به كفارة لاثم احتكاره وورد ان المحتكرين يحشرون مع قتلة النفوس وقد أحرق أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه طعام المحتكر وأما ترويج النقد الزائف فهو من الغش المحرم والخداع المحظور فى الدين الا أن يكون هو النقد الذى يتعامل الناس عليه فى البلد فهو وان غش من نحاس ونحوه فيجوز المعاملة عليه مهما كان هو النقد الرائج فى البلد ولكن متى خالفه البعض منه بزيادة الغش فيه أو بكونه نحاسا خالصا لم يجز له أن يروجه على الناس ويدخله فى جملة النقد الذى يتعاملون عليه فان ذلك منه غشا ومخادعة وعلى من وقع اليه شئ من النقد الذى هذه صفته ان يتلفه بان يلقيه فى بئر ونحو ذلك من وجوه الاتلاف او يذهب به الى من يستخلص مقدار الفضة منه ومابقى من النحاس ونحوه يكون له قيمة على قدره واما الذى يكون فى اصله نحاسا خالصا فلا يدخله بين الدراهم التى تكون فيها الفضة مما يتعامل عليه الناس فان فعل ذلك فقد غش وخدع ومايخدعون الا انفسهم ومايشعرون * واما المعاملات الباطلة فاقبحها وأخشها المعاملة بالربا فان المعامل به متعرض لحرب الله ورسوله كما قال عز من قائل ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقال تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس الى قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وقال عليه السلام الربا بضع وسبعون شعبة أدناها مثل ان يأتى الرجل امه الحديث وماورد فى الربا من التشديد والتغليظ كثير منتشر والربا من الكبائر وجملة القول فيه انه لا يحل بيع النقد بالنقد ولا الطعام بالطعام الذى هو نوعه الا يدا بيد سواء بسواء فان اختلف النوع كالذهب بالفضة والحنطة بالذرة جازت المفاضلة ووجب التقابض فى الحال من غير تأخير ولا نسيئة والحيلة فى الربا من الربا * وقد قال كثير من العلماء بعدم جوازها وانها لا تفيد شيأ سوى زيادة المقت والسخط وخشية الاحتيال على الله فى استحلال ماحرمه بغير حجة ولا وجه مسوغ ومنهم من قال بجوازها بالنسبة الى أحكام الدنيا دون أحكام الآخرة وهذا أيضا شديد لمن تأمله فان أحكام الدنيا قد تناط من حيث الظواهر بامور قريبة مع كونها فى الباطن وبالنسبة

جزا وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقال تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا

الى امور الآخرة من الامور الهائلة المسخطة لله تعالى الموجبة لمقته وشديد عقابه وانظر الى حال المنافق
الذى يظهر الايمان و يضمر الكفر كيف تجرى اموره الظاهرة كلها على مثل امور المؤمنين ثم يكون
فى الآخرة أسوء حالا وأشد عذابا من الكافرين الذين أظهروا الكفر وذلك لمخادعته لله واحتياله عليه
فلا يأمن المحتال بالحيل التى يستحل بها ما حرم الله عليه أن يكون أسوأ حالا ممن تعاطى ذلك المحرم ظاهرا
من غير احتيال فلعل الله أن يتجاوز عنه أو يوفقه للتوبة واما هذا المحتال فمتى يتوب من شىء يرى أنه
ليس بذنب ولا محرم عليه وذلك من أعظم مكايد الشيطان يوقع الانسان فى بعض مساخط الله ثم يوهمه
و يلبس عليه بأن ذلك من الطاعات أو من المباحات فليحذر المسلم من أمثال ذلك وليحذر من غرور
الشيطان فانه من اتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم و يمنيهم وما يعدهم
الشيطان الا غرورا فالمحتال فى استحلال الربا الذى حرمه الله عليه بنذر او اقرار ونحو ذلك وهو يعلم من
باطنه انه لم يقصد بذلك النذر والاقرار الا ليجيزه فى الظاهر على من لا يعلم بالباطن من المخلوقين مغرور
مخادع لله القوى الظاهر الذى لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء والذى يكتب لهؤلاء المحتالين
والذى يشهد لهم بذلك مهما علموا ببواطن أمورهم وغلب على ظنهم قصدهم ذلك بقرائن أحوالهم شركاؤهم
فى باطلهم وغرورهم وما يترتب على ذلك من التعرض لعقاب الله وعذابه وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب
ينقلبون * ثم اعلم ان مداخل الربا كثيرة وعلى التاجر أن يتعلم من ذلك ما يكثر وقوعه و يكثر تعاطى
الناس له وما أشكل عليه بعد ذلك سأل عنه أهل العلم الذين يخشون الله و يتقونه دون العلماء المترخصين
المتأولين الآخذين من العلم بظواهر اكثرها لا يصح ولا يستقيم عند العلماء بكتاب الله وسنة رسوله وسير
السلف الصالح (واعلم) أن الربا وشبهه من المعاملات الفاسدة قد عمت فى هذا الزمان وفشت جدا ودخل
فيها الخاص والعام الا من حفظه الله وقليل ما هم وهذا شىء قد وعد به الصادق الأمين صلوات الله عليه
وسلامه فانه قال يأتى على الناس زمان لا يبقى أحد الا أكل الربا فان لم يأكله أصابه من غباره الحديث
ثم ينبغى للتاجران يأخذ فى جميع معاملاته بالعدل والاحسان الذين أمر الله بهما فى قوله تبارك وتعالى
ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية أما العدل فباجتناب الظلم والغش وكتمان العيوب وبخس المكيال
والميزان وسائر ما يحرم عليه فى بيعه وشرائه مع القيام بما يجب عليه من النصيحة والأمانة والوفاء * وأما
الاحسان فبأن يأخذ بالفضل والبر والمعروف من اقالة النادم بيعته بعد لزوم البيع فقد قال عليه
السلام من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته وان يكون سمحا اذا باع سمحا اذا اشترى سمحا اذا قضى
سمحا اذا اقتضى قال عليه السلام رحم الله عبدا سمحا اذا باع سمحا اذا اشترى سمحا اذا قضى سمحا الى
اقتضى وان يقنع بالربح اليسير سيما مع صديقه وقريبه والضعفاء من عباد الله من الفقراء والمساكين وان
يكثر من الصدقات واصطناع المعروف ويغتنم ذلك ما دام يمكنه و يستطيعه وللسلف الصالح المباشرين
للاسباب سير حسنة ومعروفة فى ذلك ذكر الامام الغزالى منها نبذة صالحة فى كتاب آداب الكسب
والمعاش من الاحياء وعلى الصانع والمحترف ان يأخذ بنحو ذلك من العدل والاحسان فى صناعته وحرفته
من اجتناب الظلم والغش والأخذ بالنصيحة والامانة والصدق والوفاء وما شاكل ذلك من أفعال أهل
التقوى والاحسان الذين أخبر الله تعالى فى كتابه بانه معهم حيث يقول ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون و ينبغى للتجار والصناع اذا عاملهم من لا يحسن المعاملة لغباوة أو حاجة شديدة ان لا يغتنموه
و يغبنوه بل ينظروا له الأصلح و يقدروا انه يحسن المعاملة والنظر لنفسه وكونه من أعرف الناس بها
فيعاملوه على ذلك التقدير والا وقعوا فى بأس وحرج وكانوا به من مؤثر الدنيا على الآخرة وممن لا يحب
لأخيه المسلم كما يحب لنفسه وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يؤمن أحدكم حتى لا يحب لاخيه ما يحب
لنفسه و بلغنا عن بعض السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين انه كان يبيع حللا قيمة البعض كل
واحدة منها ألف درهم وقيمة البعض منها كل واحدة خمسمائة درهم فاتفق انه قام من دكانه وخلف فيه

فان الجحيم هى المأوى
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله
وعالم ومتعلم فلو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح
بعوضة ما سقى منها كافرا
شربة ماء الدنيا جيفة
قذرة ان الله تعالى جعل
ما يخرج من ابن آدم مثل
للدنيا ما الدنيا فى الآخرة
الا مثل ما يضع أحدكم
أصبعه فى اليم فينظر بماذا
يرجع ليودن كل أحد
يوم القيامة انه ما أعطى
من الدنيا كان قوتا ان بين
أيديكم عقبة كؤدا لا يجوزها
الا المخفون وقال رجل هل
أنا من المخفين يا رسول الله
فقال هل عندك قوت يومك

ولدأخيه فجاءه اعرابي يطلب حلة فعرض عليه من التى قيمتها خمسمائة درهم فاشتراها منه بألف درهم وأعطاه الدراهم وأخذ الحلة ومضى فوجد الرجل الصالح صاحب الدكان فى طريقه والحلة معه فقال بكم أخذت هذه فقال له بألف درهم قال له انما قيمتها خمسمائة فقال له قد رضيت فقال وان رضيت فانا لا أرضى ولكن ارجع معى فاما ان تأخذ من التى قيمتها ألف بدراهمك واما أن تأخذ خمسمائة وهذه الحلة التى قد أخذت والا خذ دراهمك ودع لنا حلتنا فانطلق معه وأخذ خمسمائة درهم والحلة التى قد أخذها أولا وعن السرى السقطى رحمه الله انه أخذ أياما كان يتجر شيأ من اللوز بستين دينارا وكتب عليه الربح ثلاثة دنانير فمكث أياما قلائل ثم جاءه الدلال لبأخذ منه اللوز وقال له بكم فقال بثلاثة وستين دينارا فقال له الدلال قد صارت قيمته فى هذا الحين تسعون دينارا فقال السرى انى قد نويت أن لا أربح فيه الا ثلاثة دنانير وقال الدلال انى قد عاهدت الله أن لا أغش أحدا ولا أغبن مسلما فامتنع السرى من البيع وامتنع الآخر من الشراء وحكاياتهم فى نحو ذلك كثيرة وذكر الامام الغزالى رحمه الله منها طرفا صالحا وهاتان الحكايتان من جملة ماذكره وهؤلاء وأشباههم من العاملين فى دنياهم لآخرتهم والزيادة فى دينهم وحسناتهم قال الله تعالى فيهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب وقد قال عليه الصلاة والسلام التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة ✱ وأما الزراع وأهل الحرث المشغولون بذلك فانهم على خير من ربهم وسعى لأحوال معاشهم اذا أصلحوا فى ذلك نياتهم واتقوا الله ربهم ولم يشتغلوا بما هم فيه من ذلك عن اقامة صلواتهم واجتناب ما حرم الله عليهم من المعاملات المحظورة عليهم فى دينهم من الربا ونحوه فان الزراعين كثيرا ما يأخذون بالمعاملة التى لا تصح تحوجهم الى ذلك حضور الحاجة فى اقامة أنفسهم وعيالهم ومؤن زرائعهم ثم ان الذى يحصل لهم من الزرائع لا يحضر الا بعد وقت متراخ لأن حين الحصاد يتأخر مدة عن حين اقامة الزرائع وحاجة الزارع حاضرة الى المؤن التى يقيم بها أمر زراعتهم من البذر وغيره فيرجعون الى أهل التجارات ونحوهم يطلبون منهم ما يحتاجون اليه الى أجل تحضرهم فيه فوائد زرائعهم فلا يعطونهم الا بالربا المحرم حرصا على أرباح الدنيا وزياداتها ومنافعها التى تضرهم فى دينهم وآخرتهم فيشترك المعطى والآخذ فى الحرام والآثام والانتهاك والاقتحام للربا الذى هو من الكبائر الموبقات وان كان الآخذ عن ضرورة أو حاجة شديدة أعذر من المعطى له لطلب الربح والزيادة من تلك الاغراض الخبيثة التى ربحها خسران وزيادتها نقصان قال الله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم وفى البيع نسيئة والى أجل وفى عقد السلم بشروطه مندوحة وسعة عن الاخذ بهذا الربا المحظور المذموم وعن حيله التى قد قال فيها ما قيل وفق ما قد تقدم قريبا وليكن الزارع طيب النفس محتسبا للثواب من الله فيما يصاب به فى زرعه من نقص أو آفة وما يأكله ذو كبد رطبة من آدمى أو بهيمة أو طائر فان ذلك فى صحائفه وموازين حسناته مهما احتسبه وأراد به وجه ربه وما عنده من حسن الأجر وعظيم الثواب قال عليه الصلاة والسلام فى كل كبد رطبة أجر وقد ورد فى ذلك الاخبار وليحرص على اخراج الزكاة من زرعه مهما وجبت عليه وليفرقها على مستحقيها من الفقراء والمساكين وبقية الاصناف الموجودين الذين ذكرهم الله فى كتابه العزيز حيث يقول سبحانه وتعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وليعمهم بها ان اتسع لهم القدر الذى يخرجه والا فلا يخرجها عنهم ويعطيها لغيرهم ممن ليس من الاصناف المذكورة فى الآية الكريمة فان المعتدى فى الصدقة كمانعها كما ورد وعلى أرباب الثمار والمواشى والنقود من الذهب والفضة والتجارات ان يخرجوا زكواتهم التى أوجبها الله عليهم فى أوقاتها وان يفرقوها على المستحقين لها الذين سماهم الله فى كتابه وان يقصدوا بذلك امتثال أمر الله وابتغاء وجه ثوابه الذى وعدهم به فى الآخرة ولا يقصروا عن ذلك ولا يتساهلوا فيه بترك الاخراج رأسا والعياذ بالله أو باخراج البعض منها أو باعطائها غير أهلها فكل ذلك من الآثام

قال نعم قال هل عندك قوت غد قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان عندك قوت غد لم تكن من المخفين وقال عليه الصلاة والسلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون واتقوا الدنيا واتقوا النساء فوالله ما الفقر أخشى عليكم انما أخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم انما أخاف عليكم بعدى ما يفتح لكم من زينة الدنيا وزهرتها احذروا فانها أسحر من هاروت وماروت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

والمحظورات

والمحظورات المتعرض متعاطيها للوقوع في سخط الله وسخط رسوله فان تفاوتوا في ذلك بحسب ما وقعوا فيه من تلك المهالك فان المقصر في الاخراج رأسا اثمه عظيم وعصيانه لله فاحش فظيع وقد قرن الله بين الصلاة والزكاة في غير موضع في كتابه العزيز وقاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الاعراب الذين منعوا الزكاة وقال رضي الله عنه لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة ولو منعوني عناقا أو قال عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه وقد ورد في السنة المطهرة في مانعي الزكاة تشديدات هائلة وعقوبات عظيمة لا يطول بذكرها وهي معروفة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي منع الزكاة مضار عاجلة أيضا قال عليه السلام ما خالطت الزكاة مالا الا محقته وما هلك مال في بر ولا في بحر الا بمنع الزكاة وقال عليه السلام حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء وعلى أهل التجارات والزراعات وغيرهم من أهل الاموال ان يتعلموا من أحكام الزكاة ما لا بد لهم من علمه وما أشكل عليهم بعد ذلك فليسألوا عنه أهل العلم الذين يخشون الله والقول في أحكام الزكاة وأدائها طويل منتشر ومحل بسطه كتب الفقه فليطلب مريد ذلك منها * ثم ان من أبرك وأعود ما يأخذ فيه الانسان من أسباب المعاش التجارة مع الصدق والوفاء والأمانة والنصيحة للمسلمين ثم الماشية * قال عليه الصلاة والسلام تسعة أعشار الرزق في التجارة وعشر في الماشية وكذا الزراعة مع ان التعب فيها كثير والأجر والثواب لمن حسنت نيته واتقى ربه فيها عظيم وفي الحديث التمسوا الرزق في خبايا الارض فيقال انه حث على الزراعة وقال عمر رضي الله عنه المتوكلون هم الزراع الذين يبثون بذرهم في الارض ويبقون منتظرون لفضل الله أو كما قال رضي الله عنه ومن أطيب المكاسب وأحلها الاحتطاب والاصطياد وأخذ الحشيش من المواضع المباحة ومهما روعيت أسباب الحل مع الورع والاحتياط في أخذ هذه الأشياء وفي بيعها كانت من أحل ما يكتسبه الانسان ويأكله وقد أخذ بذلك كثير من عباد الله الصالحين سلفا وخلفا ومن المستحب التبكير في طلب الرزق قال عليه الصلاة والسلام اللهم بارك لأمتي في بكورها وكان عليه الصلاة والسلام اذا بعث جيشا أو سرية بعثهم من أول النهار وكان ابن وداعة الغامدي الصحابي رضي الله عنه وهو راوي هذا الحديث تاجرا وكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله * ومن المستحب المتأكد الاكثار من ذكر الله في السوق قال عليه الصلاة والسلام من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وقال عليه السلام التاجر الصدوق الامين يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء وقال عليه السلام ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا ائتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا واذا كان عليهم دين لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا وقال عليه السلام يوشك أن يكون مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قال عليه السلام من خير المعاش لهم رجل ممسك بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل أو الموت مظانه ورجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس الا في خير وقال عليه السلام من زرع زرعا فأكل منه طير أو عافية كانت له صدقة والعافية هي الوحوش وقال عليه السلام سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته وعن فاطمة رضي الله عنها قالت مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجعة فحركني برجله ثم قال يا بنية قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين فان الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس

﴿الصنف الخامس وهم أهل الفقر والضعف والمسكنة ونحوهم من أهل الامراض والبلاء﴾

ان الله يذود الدنيا عن عبده المؤمن كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة ذنب لا يغفر حب الدنيا من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى مرة الدنيا حلوة الآخرة وحلوة الدنيا مرة الآخرة الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا ليجاء بأقوام يوم القيامة لهم أعمال كجبال تهامة فتجعل هباء منثورا ويؤمر بهم الى النار كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هينة من الليل فاذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلوات الله عليه وسلامه

﴿القول في نصيحتهم وتذكيرهم وتنبيههم وتحذيرهم﴾

(اعلم) ان الفقر والضعف والمسكنة من الامور التي جعل الله فيها ابتلاء واختبار العباد لينظر صبرهم عليها ورضاهم بقضائه فيها فمن صبر كان له أجر الصابرين ومن سخط وجزع كان عند الله من الخاطئين قال الله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الى قوله تعالى وأولئك هم المهتدون وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم فالصبر على البلاء من الشدائد والثواب عليه لمن صبر عظيم كما قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه قال عليه السلام ان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وانما جعلها الله سجن المؤمن ليزهد فيها ولا يرغب في طول الاقامة بها قال ابن عطاء الله رحمه الله انما جعل الله الدنيا محلا للاكدار ومعدنا لورود الاغيار تزهيدا لك فيها علم انك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها انتهى ومما ورد عن الله تعالى يا دنيا مري لاوليائي لا تحلي لهم فتفتنيهم وورد أيضا ان الله اذا أقبل على عبده بوجهه كله صرف عنه الدنيا كلها وأوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أحبك فقال له ان كنت كما قلت فاعد للفقر تجفافا فان الفقر أسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه فالفقر مع الصبر حلية الانبياء وزينة الاصفياء وفي الحديث الفقراء الصبراء جلساء الله يوم القيامة وقال عليه السلام الله يذود عبده المؤمن عن الدنيا كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مراتع الغرة وورد أيضا ان الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب ومعناه ان أهل المريض قد يمنعونه بعض الاطعمة وبعض الاشربة خشية ان تضره وفي الحديث الحمية أصل الدواء ولما كانت الدنيا عند الله بأوضع المنازل واحقر الاشياء صان أولياءه واحباءه عنها ورفعهم عن الميل اليها والتمتع بها وقد بلغنا ان الله تعالى حين أرسل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون اللعين قال لهما لا يغرنكما ترياني عليه من زينة الدنيا فلو أردت لزينتكما بزينة يعلم فرعون ان مقدرته تعجز عنها ولكني ارغب بكما عن ذلك وقال عليه الصلاة والسلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء فانظر رحمك الله تعالى ما احقرها عند الله وما أهونها عليه وقد ورد ان الدنيا تقول يوم القيامة لربها يا رب اجعلني لادنى أوليائك فيقول لها سبحانه اسكتي يا لا شيء فقد علمت انه سبحانه ما زوى عنهم نعيم الدنيا وحماهم عن التمتع بشهواتها الفانية وحذرهم منها الا لخستها وهوانها وكرامتهم عليه ورفعتهم لديه لئلا يتدنسوا بأقذارها ويشتغلوا عما هو خير لهم وانفع وابقى وارفع من كرامته التي ادخرها لهم عنده في الدار الباقية التي هم لها سابقون وفيها مخلدون تلك الجنة التي وعد المتقون وقد قال عليه الصلاة والسلام يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام فيكونون في سرور وحبور وروح وريحان والاغنياء محبوسون للحساب * ومرددون بين تلك المخاوف والاهوال الصعاب بسبب ما نالوه وتمتعوا به من لذات الدنيا وشهواتها * ثم اعلم ان الفقراء الزاهدين في الدنيا المتجردين عنها على أقسام * قسم منهم يفرون من الدنيا وان عرضت عليهم عفوا صفوا فليس يرغبون فيها اغتباطا بفقرهم وتفرغا عن الدنيا لطاعة ربهم وعبادته وذكره ومناجاته وقد ذكر عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى انه جاءه شخص بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها منه وقال له تريد ان تمحو اسمي من ديوان الفقراء بهذه العشرة الالاف لا أفعل وعن بعضهم قال رأيت فقيرا قاعدا على سجادة في المسجد الحرام وكان معي شيء من الدراهم فوضعتها على طرف سجادته وسألته ان يقبلها فنظر الى شزرا وقال يا هذا اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على الفراغ بكذا وكذا ألف غير العقارات والمستغلات

مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف فقال تحت شجرة ساعة ثم راح من أصبح آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت اليه الدنيا بحذافيرها بعثت لخراب الدنيا فمن عمرها فليس مني من كانت نيته الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولم يأته من الدنيا الا ما كتب الله له كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في اهل القبور ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس

فتريد أن تخدعني عنها بدراهمك هذه ثم قام ونفض سجادته ومضى فتبددت الدراهم وجعلت ألتقطها فلم أر أعز منه حين ذهب وتركها وأذل مني حين بقيت ألتقط الدراهم الحكاية بمعناها وحكاياتهم في مثل ذلك كثيرة معروفة ومن وصف أهل هذا القسم الفرار من الدنيا ومن دخولها في أيديهم اذا أقبلت عليهم وربما قيل لبعضهم خذه وتصدق به فيأبى فيقول من جمعه أولى بتفريقه تكون العهدة عليه في الجمع والتفريق (والقسم الثاني) لا يفرون من الدنيا اذا عرضت عليهم وأقبلت اليهم ولكنهم يقبلونها ويفرقونها على المستحقين والمحتاجين في الحال الحاضر من غير انتظار ولا تأخير وهؤلاء هم الأقوياء من حزب الله وخلفاء الله في عباده ولهم الأسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلوات الله عليه لم يفر من الدنيا حين أقبلت ولكنه أنفقها في سبيل الله ووضعها حيث أمر الله فكان يعطي الرجل الواحد المائة من الابل وأعطى رجلا غنما بين جبلين وأعطى العباس رضي الله عنه من المال ما عجز عن حمله وقال عليه السلام وما يسرني ان لي مثل أحد ذهبا تمضي علي ثلاثة أيام وعندي منه قيراط الا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا الحديث وكانت هذه سيرته عليه الصلاة والسلام وكان يعيش هو وأهل بيته عيش الفقراء على التمر والماء وعلى خبز الشعير الغير المنخول وكذلك كانت سيرة الخلفاء الراشدين من بعده أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين لم يفروا من الدنيا حين جاءت اليهم ولم يمسكوها للتمتع بشهواتها بل أخرجوها في الحال وبقوا على ما كانوا عليه من التقلل والتقشف وسيرهم في ذلك مأثورة ومعروفة وقد بلغنا أن ابن الزبير أرسل لعائشة رضي الله عنها بمائة ألف درهم فأنفقتها من ساعتها وكانت اذ ذاك صائمة فلما قربت لها الجارية الفطور وكان خبزا وزيتا قالت لها لم يمكنك فيما فرقت اليوم أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت (والقسم الثالث) قد يطلبون الدنيا ويسعون لها ولكن لم يقدر لهم منها ولم يقسم لهم فيها الا مقدار الكفاية وأقل من ذلك ولكن رضوا به وقنعوا وصبروا معرفة منهم بحسن الاختيار وعلما بأن الله ما زوى عنهم فضول الدنيا الا لخير أراده بهم وقد قال عليه الصلاة والسلام قد أفلح من هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافا وقنع به وقال عليه السلام في دعائه اللهم ارزقني ما يكفيني وامنع عني ما يطغيني وقال عليه السلام من رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل فاما من طلب الدنيا وجد وشمر في السعي لها لكي يتمتع بشهواتها ويتنعم بلذاتها فذلك من طلاب الدنيا وأرباب الحرص عليها وأمره محظور ويخشى عليه فان الطالب للدنيا على هذه الارادة معدود من المؤثرين للدنيا الراغبين في متاعها سواء حصل له ما طلبه وأمله منها أم لم يحصل له واذا كان الطالب للدنيا ليبر بها ويتصدق منها يقال له يا طالب الدنيا لتبر بها تركك لها أبر وأبر فكيف يكون الأمر في حق من يطلبها للتمتع بالشهوات واللذات الفانيات فالنجاة في طلب الدنيا ان يطلبها العبد للعفاف والكفاف فان دخل في يده أكثر من ذلك من وجهه قدمه لآخرته وادخره لنفسه عند ربه وأما الفقير الذي يطلب الدنيا فان وجدها جمعها ومنعها وان لم يجدها تحسر عليها واشتد حزنه وتأسفه على فقدها فذلك مذموم الحال وغير معدود من الفائزين في المال سيما اذا اشتغل بطلبها والسعي لها عن طاعة ربه وحسن التزود لآخرته ويخشى عليه ان يكون من الذين قيل فيهم أشقى الاشقياء من جمع الله عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة فالفقر مع الصبر والقناعة بما قسم الله والرضى بما قضاه لعبده من اختيار القلة على الكثرة والضيق على السعة من الدنيا من أعظم النعم وأفضل الفضائل وأما الفقر مع السخط والحزن والتبرم والتضجر فذلك من أعظم البليات وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفقر الذي يكون صاحبه على مثل تلك الصفة وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا فان السخط لقضاء الله وعدم الرضا بما قسمه من الذنوب المهلكة والمعاصي الفظيعة الهائلة فليحذر الفقير من ذلك غاية الحذر وقال عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وأما الامراض والعاهات وأنواع المصائب والبليات التي يوجهها الله الى بعض عباده

يملك الناس وقال عليه الصلاة والسلام الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يحزن من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له وبها يفرح من لا يقين له ما يسكن حب الدنيا قلب عبد الا التاط منها بثلاث شغل لا ينفك عناه وفقر لا يدرك غناه وأمل لا ينال منتهاه وان الدنيا والآخرة طالبتان ومطلوبتان فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستوفي رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذه الموت بعنقه الا وان السعيد من آثر باقية يدوم نعيمها على فانية لا ينفد عذابها وقدم لما يقدم عليه مما هو الآن

فان فيها لهم من الأجر والصواب وحسن العواقب وكريم المآب مهما صبروا عليها ولم يسخطوا قضاء الله عليهم بها ولم يتبرموا ولم يجزعوا وقد قال الله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال الى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وقال عليه السلام ليتمنين أهل العافية يوم القيامة ان لو قرضت أجسادهم بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء وقال عليه السلام ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وقال عليه السلام عظم الجزاء مع عظم البلاء وقال عليه السلام يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الثواب صبا ويفرغ لهم افراغا الحديث وقال عليه السلام لا يبرح البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الارض وما عليه خطيئة وقال عليه السلام اذا أحب الله عبدا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه ثجا فاذا دعى العبد قال يا رباه قال لبيك عبدي لا تسألني شيئا الا أعطيتك اما أن أعجله لك واما اني أدخره لك وما ورد في ثواب البلاء مع الصبر والاحتساب كثير منتشر ومع ذلك فليس ينبغي للانسان أن يسأل الله البلاء ويدعو به فانه لا يدري ما يكون منه عند نزول البلاء عليه فلعله يجزع ويسخط فيقع في الاثم والحرج بل ينبغي له أن يسأل الله العافية ويكثر من سؤالها ففي الحديث ما أوتي الانسان بعد اليقين أفضل من العافية وما سأل الله تعالى شيأ أحب اليه من أن يسأل العافية فهذا الذي ينبغي للعبد ويليق بضعفه فان وجه الله اليه بلاء وأراده به كان عليه أن يصبر ويحتسب ويرضى بقضاء الله تعالى ويسأل ربه اللطف به والعافية والتثبيت والتأييد وكذلك لا ينبغي لأحد أن يتمنى الموت لضر نزل به من مرض أو فقر أو نحوه من شدائد الدنيا فقد قال عليه الصلاة والسلام لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي فان خاف فتنة في دينه لم يكن عليه في ذلك بأس ولا حرج اعني تمني الموت فقد روى ذلك عن جماعة من الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين (ومن) الصبر المحمود الذي يعظم الثواب عليه الصبر على المصائب والفاقات وشدائد الدنيا * قال ابن عباس رضي الله عنهما الصبر في القرآن على ثلاث منازل صبر على طاعة الله وله ثلاثمائة درجة وصبر عن معاصي الله تعالى وله ستمائة درجة وصبر على المصائب وله تسعمائة درجة * وفي الحديث انما الصبر عند الصدمة الأولى أي عند أول ما يرد عليه العلم بوقوع المصيبة * وقال عليه الصلاة والسلام من أصيب بمصيبة فقال انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا آجره الله وأخلفه خيرا منها وقال عليه السلام قال الله تعالى ما جزاء من قبضت صفيه من أهل الدنيا فصبر الا الجنة ومن الصبر المحمود الصبر على ما يقع من أذى الناس بأقوالهم وأفعالهم وهو أعلى الصبر على ذلك من شأن الاكابر والائمة وأهل الاختصاص من الأنبياء والصديقين والاولياء والصالحين قال الله تعالى لرسوله الامين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وقال تعالى اخبارا عن الرسل عليهم الصلاة والسلام وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا الآية وقال تعالى حكاية عن قوم موسى عليه السلام قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا الآية فعلى من ابتلى بشيء من أذى الناس أن يصبر ويحتمل ولا يكافيء ولا يقابل بمثل ذلك وان كان قد أبيح له ورخص له فيه وليرض بنصر الله له ولا يدع على من ظلمه ولا يسبه ولا يشتمه فقد ورد من دعى على من ظلمه فقد انتصر وورد ان المظلوم ليدعو على ظالمه حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عليه زيادة يطالبه بها يوم القيامة فيعود الظالم مظلوما والمظلوم ظالما وأفضل من ذلك أن يعفو ويصفح من غير حقد ولا تحمل شر ولا بلاء لمن آذاه قال الله تعالى فمن عفى وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقال عليه الصلاة والسلام ينادى مناد يوم القيامة ليقم من أجره على الله فيقوم العافون عن الناس وقال عليه الصلاة والسلام

في يديه قبل ان يخلفه لمن بعده بانفاقه وقد شقي هو بجمعه واحتكاره تعس عبد الدنيا وانتكس فاذا شيك فلا انتقش وقال عليه الصلاة والسلام الزهادة في الدنيا تريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن والبطالة تقسي القلب ان النور اذا دخل القلب انشرح له وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال عليه السلام التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وأوحى الله الى موسى يا موسى اذا أحببت عبدي زويت عنه الدنيا وهكذا أفعل بأحبابي يا موسى اذا رأيت الغنى

من أعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت فقالوا ماذا له يا رسول الله فقال عليه السلام أولئك لهم الأمن وهم مهتدون الحديث وقال عليه السلام ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله انهم ليدعون له ولدا ويجعلون له أندادا وهو مع ذلك يعافيهم ويرزقهم قال عليه السلام لقد أوذيت وما يؤذى أحد ولقد أخفت وما يخاف أحد ولقد أتت على ثلاثون ما بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شئ يواريه ابط بلال وذكر القشيرى فى الرسالة باسناده قال أتت فاطمة رضى الله عنها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسرة خبز فقال ما هذا يا فاطمة قالت قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك به فقال اما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث ولما شكت اليه صلى الله عليه وسلم ما تلقاه من الطحن وحمل الماء وغير ذلك من خدمة البيت وسألته خادما فقال لها كيف أعطيك خادما وأدع أهل الصفة ثم أمرها هى وعليا رضى الله عنهما اذا أخذا مضجعهما من الليل ان يسبحا ثلاثا وثلاثين ويحمدا ثلاثا وثلاثين ويكبرا أربعا وثلاثين ثم قال وذلك خير لكما من خادم الحديث وقد كان يأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أهله الهلال والهلال والهلال ثم فى شهرين لا توقد فى أبياتهم نار لطعام ولا غيره انما يكونون على الاسودين التمر والماء وقال أبو هريرة رضى الله عنه ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل قلت لا أشتهيه يا رسول الله قال لكنى أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولو شئت لدعوت ربى عز وجل فأعطانى ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت فى قوم يخبؤن رزق سنتهم ويضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يأمرنى بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات فمن كنز دينارا يريد به حياة باقية فان الحياة بيد الله عز وجل الا وانى لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد وقال عليه الصلاة والسلام عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وعن الحسن البصرى رحمه الله تعالى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسى الناس بنفسه حتى جعل يرقع ازاره بالأدم وما كان يجمع بين عشاء وغداء ثلاث أيام ولا حتى لحق بالله عز وجل صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا وكرامة لديه

﴿الصنف السادس وهم الاتباع من الأولاد مع الآباء والنساء مع الأزواج والمماليك مع المالكين لهم﴾

﴿القول فى نصيحتهم وتذكيرهم وتنبيههم وتحذيرهم﴾

(اعلم) ان هؤلاء يكونون فى الجملة فى تبعية غيرهم وتكون الحقوق الالهية المتوجهة عليهم أكثر وآكد من الحقوق التى لهم على الذين يكونون فى تبعيتهم من الآباء والأزواج والملاك وان كانت أيضا لهم حقوق فى الجملة على المتبوعين لهم أما الاولاد مع الوالدين من الآباء والامهات فقد قال الله عز وجل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا وقال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وقال تعالى أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها الى قوله تعالى انى تبت اليك وانى من المسلمين وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله قال الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله وقال عليه الصلاة والسلام لا يجزى والد عن ولده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال

مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وأوحى الله الى داود يا داود من آثر هوى دنياه على لذة آخرته فقد استمسك بالعروة التى لا وثاق لها ومن آثر هوى آخرته على لذة دنياه فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وأوحى الله الى عيسى يا عيسى قل لبنى اسرائيل يحفظوا عنى حرفين قل لهم ليرضوا بذى الدنيا لسلامة دينهم كما رضى أهل الدنيا بذى الدين لسلامة دنياهم وفى بعض كتب الله المنزلة اهون ما انا صانع بالعالم اذا ركن الى الدنيا ان أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه

عليه السلام رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخط الوالدين ويروى عنه تبارك وتعالى انه قال من أصبح مرضيا لوالديه مسخطا لى فانا عنه راض ومن أصبح مرضيا لى مسخطا لوالديه فانا عنه ساخط وقال عليه السلام الوالد وسط أبواب الجنة فان شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه وقال رجل يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما فقال عليه السلام هما جنتك ونارك وقال عليه السلام من سره ان يمد له فى عمره ويزاد له فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه وقال رجل يا رسول الله ان أبى أراد أخذ مالى فقال عليه السلام أنت ومالك لأبيك قال صلى الله عليه وسلم بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم وقال عليه السلام رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه قيل يا رسول الله من قال من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة وقال عليه السلام أكبر الكبائر ثلاث الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور وشهادة الزور الحديث وقال عليه السلام ملعون من عق والديه وقال عليه السلام كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء الى يوم القيامة الا عقوق الوالدين فانه يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات وقال عليه السلام يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم واياكم والبغى فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغى واياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق لوالديه ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبر لله رب العالمين والكذب كله اثم الا ما نفعت به مؤمنا أو دفعت به عن دين وقال عليه السلام ثلاثة حرم الله تعالى عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقر الخبث فى أهله (واعلم) ان حق الوالدين من أعظم الحقوق وبرهما من أهم المهمات وأقرب القربات وأفضل الطاعات لله رب العالمين وان عقوقهما والاضاعة لحقوقهما من أفحش المعاصى وأكبر الكبائر وأقبح المحرمات فعليك رحمك الله بمعرفة حق والديك وحسن القيام ببرهما واحذر كل الحذر من عقوقهما والتهاون بحقهما واحرص كل الحرص على ابتغاء مرضاتهما ولزوم طاعتهما وادخال السرور على قلوبهما بكل وجه تستطيعه وتقدر عليه مع الاحسان مع كل أمر يسوؤهما ويشق عليهما أو يجر الى سخطهما واستعن بالله واصبر وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واعلم ان بر الأم يزيد على بر الأب ولعل سبب ذلك ما تقاسيه من مشقة الحمل والوضع وزيادة الشفقة والحنانة وما تحمله من مؤنة الرضاع والتربية ونحو ذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام للسائل الذى سأله من أحق الناس بحسن البر فقال له أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك فادناك الحديث ومن تمام بر الوالدين صلة ارحامهما وأصدقائهما وأهل مودتهما وقد قال عليه السلام أبر البر ان يصل الرجل أهل ود ابيه وفى الحديث الآخر فى حسن بر الوالدين وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ومما ينبغى للوالدين وخصوصا فى هذه الازمنة التى فشا فيها العقوق وقل فيها البر والبارون ان يعينوا أولادهم على برهم بالمسامحة وترك الاستقصاء فى طلب الحقوق والقيام بكمال البر لئلا يحوجوهم ويوقعوهم فى سخط الله وليغتنموا دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول رحم الله والدا أعان ولده على بره وينبغى ويتأكد عليهم ان يحسنوا تربية أولادهم وتعليمهم وتأديبهم وان يحفظوهم من قرناء السوء وخلطاء الفساد وان يغرسوا فى نفوسهم معرفة الحق والدين ومحبة الخير وأهله والحرص على العمل به وبغض أهل الباطل والفساد والشر وأهله ليقع نشوؤهم على ذلك فيستحكم حرصهم ورغبتهم اذا كبروا وأدركوا على الخير والصلاح والبر ومجانبة الشر والفساد وكما يجب ويتأكد على الانسان ان يبر والديه ويحذر من عقوقهما فعليه أيضا أن يصل أرحامه وأقاربه فان صلة الارحام من الأمور المهمة فى الدين وهى أعنى الرحم مما أمر الله به أن يوصل فى قوله عز وجل من قائل والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وقد لعن الله سبحانه وتعالى القاطعين لارحامهم فى قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم الآية وفى الحديث عن الله تعالى هى الرحم وأنا الرحمن شققت لها اسما من اسمى فمن

ويروى عن الله تعالى انه قال للدنيا يا دنيا مرى لأوليائى ولا تحلى لهم فتفتنيهم وقال على كرم الله وجهه مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب على قدر ما تقرب من أحدهما تبعد عن الآخر ومثل الضرتين اذا أرضيت أحدهما أسخطت الأخرى ومثل اناءين أحدهما فارغ والآخر ممتلئ بقدر ما تصب فى الفارغ ينقص الملآن وقال رضى الله عنه وجدت الدنيا ستة اشياء مطعوم واطيبه العسل وهو مذق ذباب ومشروب وأحسنه الماء وهو الذى يستوى فيه البر والفاجر ومشموم وأذكاه المسك وهو دم فأرة وملبوس

وصلها

وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وانه تعالى قال للرحم حين قامت فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك وقال عليه الصلاة والسلام من سره أن ينسأ له فى أجله ويبسط له فى رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة قاطع رحم وقال عليه السلام لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم وقال عليه السلام صلوا أرحامكم ولو بالسلام وقال صلوات الله عليه أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح وهو الذى يضمر العداوة القريبة المحسن اليه وقال عليه السلام الصدقة على القرابة صدقة وصلة وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه

* وأما النساء مع الازواج فان حقوقهم عليهن مهمة وكثيرة وان كان الحال من الرجال والنساء على ما وصف الله فى كتابه العزيز حيث يقول تبارك وتعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم وقال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها اذا دخل عليها لما فضله الله عليها الحديث وقال عليه السلام اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلى من أى أبواب الجنة شئت وقال عليه السلام أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وجاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى رسولة النساء اليك وما منهن امرأة علمت اولم تعلم الا وهى تهوى مخرجى اليك الله رب الرجال والنساء وأنت رسول الله الى الرجال والنساء كتب الله على الرجال الجهاد فان أصابوا أجروا وان استشهدوا كانوا احياء عند ربهم يرزقون فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة قال طاعة ازواجهن والمعرفة بحقوقهم وقليل منكن من يفعله وقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها ولو سألها نفسها وهى على ظهر قتب بعير لم تمنعه وقال عليه السلام لا ينظر الله تبارك وتعالى الى امرأة لا تشكر زوجها وهى لا تستغنى عنه وقال عليه السلام اذا دعى الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته فبات عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح ومن حقه عليها ان لا تأذن فى بيته لمن يكرهه وان لا تخرج من البيت الا باذنه وأن لا تصوم طوعا الا باذنه وان تحفظه فى نفسها وفى ماله وان تحسن النظر على اولاده وخدمه وان تحفظ موضع سمعه وبصره وانفه منها فلا يسمع منها الا خيرا ولا يبصر الا حسنا ولا يشم الا طيبا وان تكون مستعدة لأن يستمتع بها فى أى وقت اراد لا تمنعه نفسها الا بعذر شرعى من حيض أو مرض أو نحو ذلك وان تكون شفيقة رفيقة متعطفة على أقاربه والمتصلين به وحقوق الزوج على زوجته كثيرة مهمة وكما أن عليها له حقوقا فلها عليه حقوق ايضا فى القيام بالنفقة والكسوة والمعاشرة بالمعروف وقد قال عليه الصلاة والسلام خياركم خياركم لنسائهم وقال عليه السلام خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلى وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم اخذتموهن بامانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله الحديث وفى الحديث الآخر ان المرأة خلقت من ضلع اعوج وأن اعوج ما فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان استمتعت به استمتعت به على عوجه فاستوصوا بالنساء خيرا وقد تكرر منه عليه السلام الوصية بهن فى غير ما حديث وقال عليه الصلاة والسلام لن يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها بآخر ومعنى يفرك يبغض فيحتاج الانسان فى معاشرتهن الى صبر وتغافل وحسن مداراة فانهن خلقن من ضعف وقد وصفهن عليه الصلاة والسلام بنقصان العقل والدين فقال ما رأيت أغلب للرجل الحازم منكن اوكما قال صلوات الله عليه وقد قال الصبر منهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار فينبغى ان يسامحها الرجل بما يعسر عليها القيام به من حقوقه ولا يسامحها بالتساهل بحقوق الله اللازمة عليها من الصلوات المكتوبات والاغتسال من الجنابة والتصون من الرجال الأجانب والتبرج بالزينة لغير الزوج والمحارم فان الرجل الكامل هو الذى يسامح بحقوقه ولا يسامح بحقوق الله والتهاون

وألينه الحرير وهو نسج دودة ومركوب وأنفسه الفرس وهى التى يقتل الرجل عليها او منكوح وهو مبال فى مبال وحسبك ان المرأة تتزين باحسن ما عندها وتقصد منها أخس ما فيها وقال رضى الله عنه طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة أولئك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والدعاء والقرآن شعارا ودثارا فرفضوا الدنيا على منهاج عيسى عليه السلام وفى المعنى أنشدوا

ان لله رجالا فطنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
انها ليست لحى وطنا

بدينه وحفظ حرماته والرجل الناقص هو الذى يكون على العكس من ذلك فاعتبر هذا فى نفسك وفى غيرك
ثم انه قد غلب على النساء فى هذه الأزمنة المفتونة من التبرج وقلة الحياء والنصون ما لا يخفى فينبغى لكل
مسلم يخشى الله ويتقيه ان يبالغ فى حفظهن وصيانتهن ولا يقصر فى ذلك عن شئ يمكنه ويستطيعه وينبغى
لكل متدين شفيق على دينه ان يصون دينه ونفسه بزوجة صالحة يعف بها نفسه ويحصن بها فرجه وليمتثل
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة يعنى النفقة فعليه بالنكاح
فانه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وهذا هو الذى ينبغى ويتأكد
فى هذه الأزمنة سيما فى حق الشباب الذين تكون الشهوة هى الغالبة عليهم وأما أهل النسك والدين من
الذين غلب عليهم التجرد للعبادة والاشتغال بمهمات الدين من العلوم والاعمال فليس يخفى عليهم ما يكون
من هو الاولى والاحسن فى حقهم من التأهل او تركه فان عندهم من البصيرة بدين الله ما يكشف لهم عما هو
الاحسن والاولى بهم من ذلك ويكون عندهم من رياضات النفوس وتأدب الجوارح ما يأمنون به على
نفوسهم من الوقوع فيما يسخط الله تعالى عليهم وللانسان على نفسه بصيرة والزمان قد عظم فساده
وتفاحش وخرج اهله عن شاكلة الصواب والاستقامة على جادة الحق والدين الا من شاء الله وقليل ما هم
فالله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله * وفى الحديث يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل فيه على
يد أبويه فان لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وأولاده يعيرونه بالفقر حتى يدخل مداخل السوء أو كما ورد
وقال الحسن البصرى رحمه الله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهواه الا كبه الله فى النار ولما سئل
عليه الصلاة والسلام وقيل له اذا أنت مت فظهر الارض خير لنا أو بطنها فقال عليه السلام اذا كان
أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها واذا كان
أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم الى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها فقد تبين ان
المرأة الصالحة تعون على الدين والمرأة الغير الصالحة شغل عن الدين وقد قال عليه الصلاة والسلام
فاظفر بذات الدين تربت يداك الحديث * وقال عليه الصلاة والسلام الدنيا متاع وخير متاعها المرأة
الصالحة التى ان نظرت اليها سرتك وان غبت عنها حفظتك فى مالك وفى نفسها * وقال عليه السلام
أعظم النساء بركة أخفهن مؤنة فمهما وجد الانسان المرأة الصالحة التى تعينه على دينه وعلى أمر آخرته
كان التزوج أولى به وأفضل له والا كان الترك لذلك والتفرغ لعبادة الله والتخفف عن مؤنة النساء أحسن
وأحمد عاقبة وقد ورد فى الحديث خيركم بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لا أهل له ولا ولد وكانت
المرأة الصالحة من السلف الصالح تقول لزوجها اذا رأته مهموما ان كان اهتمامك لأمر الآخرة فطوبى لك
وان كان لأمر الدنيا فانا لم نكلفك ما لا تقدر عليه وكانت رابعة الشامية امرأة أحمد بن أبى الحوارى
رحمهما الله تعالى تطعمه الطعام الطيب وتطيبه وتقول اذهب بنشاطك الى أهلك وكان له امرأة غيرها
وكان اذا كان بعد صلاة العشاء تطيبت ولبست ثيابها وأتت الى فراشه وقالت له ألك حاجة فان كانت له
حاجة معه والا نزعت ثيابها وانتصبت فى مصلاها حتى تصبح وكانت هى التى دعت ابن أبى الحوارى الى
التزويج بها لانه كان لها زوج قبله فمات عنها وورثت منه مالا فأرادت ابن أبى الحوارى يتصدى لانفاق
ذلك المال على أهل الدين والخير فى اطعام الطعام ونحوه لأن الرجل أوفق لذلك من المرأة وأقوم به فلذلك
دعته لأن يتزوج بها رحمة الله عليهما وأخبار النساء الصالحات من السلف فى أمثال ذلك كثيرة وبلغنا
ان فتحا الموصلى رحمه الله اذا سافر الى الحج أو غيره دخل النساء على زوجته وجعلن يتحنن ويتشفقن
عليها بالغيبة عنها وعن عياله فقالت لهن ان فتحا لم يكن رزاقا وانما كان يأكل الرزق فقد ذهب من يأكل
الرزق وبقى من يرزق وهو الله تعالى وبالله التوفيق والاستعانة * وأما المماليك والأرقاء فمن آكد
الاشياء عليهم وأهمها فى حقهم بعد ما يجب عليهم من حق الله وفرائض دينه اللازمة طاعة ملاكهم
وخدمتهم والنصيحة لهم من عباد الله الذين ملكهم الله رقهم وجعلهم لهم عبيدا وخولا ولهم فى القيام بذلك

جعلوها لجة واتخذوا
صالح الاعمال فيها سفنا
وقال سعيد بن المسيب رحمه
الله الدنيا نذلة وهى بكل
نذل أشبه وانذل منها من
يأخذها من غير وجهها
وللمتنبى فى المعنى شعر
وشبه الشئ منجذب اليه
وأشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعل الا ذو محل
تعالى الجيش وانحط القتام
وقال الحسن البصرى رحمه
الله فضح الموت الدنيا فلم
يترك لذى لب فيها فرحا
رحم الله امرأ لبس خلقا
وأكل كسرة ولزق
بالارض وبكى على الخطيئة
ودأب فى العبادة وقال
رحمه الله اذا دخل القلب
حب الدنيا ذهب منه

لما لهم من الثواب العظيم وعليهم في تركه واضاعته الاثم الكبير وقد وردت بذلك الأحاديث وكثرت فيه الآثار قال عليه الصلاة والسلام المملوك الذي يؤدي حق ربه تعالى وحق سيده يؤتى أجره مرتين وقال أبو هريرة رضي الله عنه لولا الحج والجهاد وبر أمي لأحببت أن أكون مملوكا يريد لما في ذلك من عظيم الثواب فعلى المملوك حسن النصيحة لسيده وكمال الامانة فيما ائتمنه عليه من ماله والقيام بما يستطيعه من خدمته من غير تكاسل ولا تقصير وعلى المالك أن يقوم له بنفقته وكسوته وان لا يكلفه من العمل ما لا يطيق وان لا يشتمه ولا يضربه الا بحق ومتى احتاج الى ضربه لأمر لا يترتب عليه صلاحه واستقامته في دينه أو فيما يتعلق بالخدمة اللازمة له فليكن ذلك على وجه لطيف لا يعظم مشقته ولا يشتد تعبه على المملوك فانه ان تجاوز في ذلك القدر المأذون فيه يأثم ويحرج ويقتص لمملوكه منه في الدار الآخرة كما ورد في الحديث وان عفى عنه وصفح كان ذلك أفضل وأحسن الا أن تكون في الضرب والتأديب مصلحة بينة وتكون في تركه مفسدة ظاهرة تعود على السيد أو على المملوك * وقد سئل عليه الصلاة والسلام كم يعفى عن المملوك في كل يوم فقال سبعين مرة وقال عليه السلام لخادم قصر في شيء لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك وقال عليه الصلاة والسلام للمملوك نفقته وكسوته وان لا يكلف ما يغلبه يعني من الخدمة وقال عليه السلام هم اخوانكم ملككم الله اياهم ولو شاء لملكهم اياكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كان كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله الحديث وقد وردت بنحوه أحاديث وآثار كثيرة ومما يحرم على المملوك الاباق على سيده وقد ورد فيه وعيد شديد قال صلى الله عليه وسلم اذا أبق العبد لم تقبل له صلاة وفي رواية فقد كفر حتى يرجع اليه اي الى سيده قال عليه السلام أيما عبد مات في اباقه دخل النار وان كان قتل في سبيل الله وقال عليه السلام ايما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع اليهم * وذكر الشيخ العلامة احمد بن محمد بن حجر الهيثمي رحمه الله في كتابه الزواجر عن اقتحام الكبائر قال قد روى الامام احمد بن حنبل رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا قعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما تقرأ قول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الآية الى قوله تعالى وكفى بنا حاسبين فقال الرجل يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء خيرا من مفارقتهم أشهدك انهم أحرار (واعلم) ان من المتبوعين الذين يتأكد على الاتباع حقوقهم وكمال الأدب معهم المعلمين للقرآن والعلم والمشايخ والاستاذين الذين يربون السالكين ويرشدون الطالبين فيتعين ويتأكد على المتعلمين منهم والسالكين المتربين بحسن نظرهم تعظيمهم وتوقيرهم واجلالهم واحترامهم وحسن الأدب معهم وكمال الامتثال لما يشيرون به ويرشدون اليه من العلم والأدب وقد قال بعضهم ان للمعلمين والمرشدين على المتعلمين والمسترشدين من الحق والطاعة والبر مثل أو قريب مما للوالدين على الأولاد بل قال بعضهم حق المعلم والمرشد آكد من حق الوالد لأن الوالد يحفظ الولد من الآفات التي يخشى عليه في جسمه ودنياه ويتسبب له في تحصيل ما يلتذ به ويستريح اليه نفسه في أحوال معاشه والعلم والمرشد يحفظه بتعليمه وارشاده مما يضره في آخرته ومعاده ويكون سببا له وسبيلا في الوصول الى دخول الجنة ونعيمها الدائم والفوز بلقاء الله الذي هو غاية السعادات وأجلها وقد درج الاخيار من السلف والخلف على تعظيم المعلمين والاستاذين ومعرفة حقهم وكمال الأدب معهم حتى قال الربيع بن سليمان ما اجترأت ان أشرب الماء والشافعي ينظر الي هيبة منه وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه من حق العالم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بالتحية وأن لا تجلس امامه ولا تشيرن عنده بيدك ولا

خوف الآخرة واياكم وما يشغل من الدنيا فانه لم يفتح عبد على نفسه بابا من الدنيا الا سد عليه عدة أبواب من عمل الآخرة وقال رحمه الله مسكين ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع بمصيبته في دنياه على الاسقام والامراض أسست هذه الدنيا هبك تصح من الاسقام وتبرئ من الامراض هل تقدر أن تنجو من الموت ولله در القائل شعرا

هب الدنيا تواتيكا
أليس الموت يأتيكا
ألا يا طالب الدنيا
دع الدنيا لشانيكا
فما تصنع بالدنيا
وظل الميل يكفيكا

تغمزن بعينك ولا تقولن قال فلان خلافا لقولك ولا تغتابن عنده أحدا ولا تساره في مجلسه ولا تأخذ
بثوبه ولا تلح عليه اذا كسل ولا تعرض أى لا تشبع من طول صحبته وقد ذكر الامام النووى رحمه الله
تعالى في كتاب التبيان نبذة صالحة من آداب المتعلم مع المعلم في آخر الباب الرابع وذكر الامام الغزالى
رحمه الله في كتاب بداية الهداية من ذلك طرفا صالحا (واعلم) ان أجل المتبوعين وأكرمهم وأعظمهم
وألزمهم حقا على كافة المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه الامام الأعظم على الاطلاق والمتبوع
الأكبر بالاجماع والاتفاق لحقه أعظم الحقوق بعد حق الله والادب معه آكد الآداب وطاعته ألزم
الطاعات فان من أحبه وعظمه فقد أحب الله ومن أطاعه فقد أطاع الله قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وقال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله
وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب وقال تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقال تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم الآية وقال تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور
الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون والآية التى تليها وقال
عليه الصلاة والسلام لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه التى بين جنبيه وقال عليه السلام
لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال عليه السلام لو كان موسى وعيسى حيين لم يسعهما
الا اتباعى الحديث وقال عليه السلام من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله وقال عليه
السلام كلكم يدخل الجنة الا من أبى فقالوا ومن يأبى فقال عليه السلام من أطاعنى دخل الجنة ومن
عصانى فقد أبى وقال عليه السلام من آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله أدخله النار الحديث ومن تمام
حبه وتعظيمه وحسن الادب معه عليه الصلاة والسلام محبة أهل بيته وأصحابه رضى الله عنهم وتعظيمهم
واحترامهم قال الله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقال تعالى والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه الآية وقال عليه السلام
أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بحبى وقال عليه السلام للعباس
رضى الله عنه لا يدخل قلب أحد الايمان حتى يحبكم لله ولقرابتكم منى وقال عليه الصلاة والسلام
لفاطمة وعلى والحسن والحسين رضى الله عنهم انا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم وقال عليه الصلاة
والسلام في حديث زيد بن أرقم رضى الله عنه وعترتى أهل بيتى اذكركم الله في أهل بيتى اذكركم الله
في أهل بيتى الحديث وقال أبو بكر رضى الله عنه ارقبوا محمدا في أهل بيته وقال عليه السلام احفظونى
في أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم
فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابى
فوالذى نفسى بيده لو انفق أحدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه فليحذر المسلم المشفق على
دينه من بغض أحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من أصحابه فان ذلك يضره في دينه وآخرته
ويعد به مسيئا الى نبيه ومؤذيا له صلى الله عليه وسلم وليحبهم ويثنى عليهم بالخير كما أثنى الله به ورسوله
عليهم ومما ينبغى ويتأكد كف اللسان عن كثرة الخوض فيما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعده ووقع بينهم من الحروب والفتن ومن أهوال ذلك وأعظمه اشكالا مقتل أمير المؤمنين عثمان
ابن عفان رضى الله عنه ثم ما وقع بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وبين طلحة والزبير
وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم يوم الجمل وبين أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وبين
معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص رضى الله عنهم بصفين فليلتمس المؤمن الشفيق على دينه
لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمثال ذلك أحسن المخارج ويحملهم فيه على أجمل المحامل

اللائقة

وقال محمد الباقر رضى الله عنه ما الدنيا وما عسى أن تكون هل هو مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها وقال وهب بن منبه رحمه الله للجنة ثمانية أبواب فاذا حصل الناس عليها قال لهم الخزنة وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة وقال محمد ابن سيرين اختصم رجلان في الارض فأوحى الله الى الارض ان كلميهما فقالت لهما يا مسكينان قد ملكنى قبلكما ألف أعور فضلا عن الاصحاء وقال أبو حازم المدنى رحمه الله ما في الدنيا شئ يسرك الا وقد الصق به شئ يسوؤك الدنيا دار

اللائقة بفضلهم وجلالة أقدارهم فانهم رضى الله عنهم عدول اخيار امناء فليكن المؤمن المتبع لهم باحسان على مثل ما وصف الله فى شأن قوله سبحانه والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا ذكر أصحابى فامسكوا وقال عليه السلام أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال عليه السلام خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث وقال عليه الصلاة والسلام احفظونى فى أصحابى وأصهارى فمن حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه أوشك أن يأخذه وبالله الاعانة والتوفيق

﴿الصنف السابع وهم المشغولون بطاعة الله تعالى والملازمون لها من عامة المسلمين وكذلك الملابسون لمعاصى الله والواقعون فيها من العامة أيضا﴾

﴿القول فى تذكير المشغولين بطاعة الله من العامة﴾

(اعلم) انه قد تقدم فى ذكر الصنف الثانى الذين هم الخاصة من عباد الله نبذة من التعريفات والتنبيهات اللائقة باحوال تلك الخاصة من أولياء الله والمنقطعين اليه نفعنا الله بهم وبارك لنا ولكافة المسلمين فيهم ولا حرمنا بركاتهم ومستجاب دعواتهم فعلى العامى الملازم لطاعة الله تعالى والمداوم عليها ان يتعلم ما لا بد له منه من العلم الذى لا يصح ولا تتم طاعته الا به من العلوم الظاهرة مثل أحكام الطهارة والصلاة والصيام وما فى معنى ذلك وعليه أيضا أن يعرف من علوم الايمان الاعتقادية ما يحصن به معتقده من العلم بالله وصفاته وملائكته وكتبه ورسله والعلم باليوم الآخر من البعث والحشر والميزان والصراط والجنة والنار فيحصل من العلوم الايمانية والعلوم الاسلامية ما يصح به ايمانه واسلامه ويتمان ويكملان به فذلك مقدم على اشتغاله بالعبادات ومواظبته عليها فان العلم كالاساس والعبادة كالبنيان وما لا أساس له لا ثبات له وربما اشتغل المتعبد بطاعات وعبادات يستغرق بها أوقاته ويتعب فيها نفسه وهو فيها غير محمود ولا مأجور بل ربما كان ملوما ومأزورا اذا كان لم يعلم بما لا بد له منه من علمه فى اقامة عباداته وصحتها وكمالها من العلوم الايمانية والاسلامية فليكن المتعبد فى نهاية الاعتناء بذلك والاهتمام به والتفرغ له وقد قيل من عبد الله بغير علم كان الضرر العائد عليه من عبادته أكثر من الانتفاع بها وذلك صحيح فان بعض المتعبدين الذين لا علم لهم قد يوقعون بعض العبادات على غير الوجه المشروع فيأثمون ولو أنهم تركوا تلك العبادة لم يأثموا بتركهم لها مهما كانت نافلة فان العلم هو المهم المقدم على الاخذ فى العبادة والتفرغ لها وعلى المتعبد ان يتحرى الحلال فى مطعمه وملبسه وسائر ما يحتاجه من أحوال معاشه فان العبادة مع أكل الحرام ولبسه غير مقبولة لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وقد قيل العبادة مع أكل الحرام كالبناء على السرجين وقال عليه الصلاة والسلام كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به فليكن فى غاية من التحرى والاحتياط والاحتراز فى مطعمه وملبسه وسائر ما يحتاجه من الحرام والشبهات والا كانت عبادته مدخولة معلولة وغير مرضية ولا مقبولة وعلى المتعبد أن يصلح نيته ويتفقدها من أول أمره ومبتدا تعبده فتكون نيته فى ذلك مقصورة على ارادة وجه الله تعالى والدار الآخرة وقصد التقرب الى الله والخدمة له دون غرض آخر من الاغراض الدنيوية والحظوظ النفسانية من حصول جاه أو مال أو محبة عند الناس أو تعظيم أو ثناء منهم وليحذر كل الحذر من مراآت الناس بعمله والتصنع لهم بعبادته فيحبط بذلك عمله ويخيب سعيه ويبطل أجره وثوابه وربما حصل له مع ذلك من الله العقاب وأليم العذاب فان الرياء من أعظم الجرائم الموبقات وقد سماه عليه الصلاة والسلام الشرك الخفى والشرك الاصغر وذكر ان القارئ لكتاب الله والشهيد فى سبيله والمنفق لماله اذا أرادوا مع ذلك المحمدة من الناس والذكر عندهم انه سبحانه وتعالى يكذبهم ويسخط عليهم ويأمر بهم فيسحبون الى النار الحديث ولما حدث به بعض السلف رحمه الله تعالى بكى بكاء شديدا وقال صدق الله تعالى حيث يقول من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف

التواء لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح وموطن شقى لا موطن رخا وقالت له امرأته ان الشتاء قد هجم ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله ثم الجنة والنار وقال رحمه الله تضرب بيدك الى شئ من الدنيا الا وتجد فاجرا قد سبقك اليه وقال رحمه الله نعمة الله على فيما زوى عنى من الدنيا أفضل من نعمته على فيما صرف الى منها وقال ما مضى من الدنيا حلم وما بقى منها أمانى وأنشد فى المعنى

كحلم طيف أو كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع

التام أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار الآية وليس الرياء المحظور
هو الخواطر التى تقع فى قلب الانسان من قبل الخلق وهو غير مختار لها ولا مطمئن اليها فاذا كانت هى
الباعثة له على العبادة فقد أحبطت العبادة من أصلها وان كان له مع ذلك باعث دينى كان فى ذلك تفصيل
وقد شرحه الامام الغزالى رحمه الله تعالى وغيره من الائمة والكل محذور منهى عنه وفيه خطر وذم كثير
وردت به الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة مثل قوله عليه الصلاة والسلام عن ربه تبارك وتعالى انا
أغنى الاغنياء عن الشرك فمن عمل لى عملا اشرك فيه غيرى فنصيبى لشريكى وأنا منه برئ وورد انه يقال
للمرائين اذا التمسوا ثواب أعمالهم يوم القيامة اذهبوا الى الذين كنتم تراؤنهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون
عندهم ثواب أعمالكم وورد أن أدنى الرياء شرك وان المرائى ينادى يوم القيامة بأربعة اسماء يا مرائى
يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا فليحذر المسلم المتقى لربه المشفق على
دينه وآخرته كل الحذر من الرياء بجميع أنواعه وعلى جميع وجوهه وليحترز من ذلك أتم الاحتراز
وان وقع له شئ من خواطره وعوارضه فليجتهد فى نفيها عن نفسه بامكانه وليكره ذلك ثم يستغفر الله
منها ويستعيذ بالله من شرها وليحذر من التكبر على الناس بعبادته واستعظام نفسه عليهم بطاعته فان
ذلك مما يسخط الرب ويحبط ثواب الاعمال الصالحة * وفى الحديث لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال
ذرة من كبر * وقد قال صاحب الحكم رحمه الله معصية أورثت صاحبها ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت
صاحبها عزا واستكبارا فمن شأن المطيع المحسن ان يزداد بطاعته خشوعا لله وخضوعا وتواضعا لعباده
المؤمنين وذلك من أفضل الطاعات وكذلك فليحذر من العجب بنفسه وبطاعاته فان ذلك من المحبطات
وليعلم ان المنة لله عليه حيث استعمله بطاعته ورضيه لخدمته مع انه عبد حقير ذليل فقير فقد شرفه سبحانه
وأجله حيث جعله ممن يعبده ويطيعه ويذكره ويشكره فالفضل والمنة له تبارك وتعالى أولا وآخرا
وظاهرا وباطنا وعاجلا وآجلا وليعلم ان حق الله على عباده ولزوم طاعته ووجوب عبادتهم اياه وخدمتهم
له من الامور التى لا يستطيع أحد من العباد أن يقوم بالبعض منه ولو بلغ فى الطاعة والعبادة ما عسى
ان يبلغ واجتهد وجد وشمر حتى يستوفى امكانه ويستفرغ استطاعته ووسعه فليعترف العبد بتقصيره عما
يجب عليه القيام به من عبادة ربه وليعترف بمنة الله عليه فيما وفقه له من طاعته وخدمته ولا يعجب بنفسه
ولا بعمله فيهلك من حيث يرجو النجاة ويخسر من حيث يأمل الربح وقد قال عز من قائل عظيم ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة أحد بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان
يتغمدنى الله برحمته هذا ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من نهاية الجد والتشمير والاجتهاد فى
عبادة الله حتى قام من الليل الى أن تورمت قدماه مع ماله من المكانة والمنزلة عند الله التى لا يساويه فيها
أحد من عباد الله المكرمين وأصفيائه المقربين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وحديث الرجل
العابد الذى عبد الله خمسمائة سنة فى الجزيرة وانه يوقف بين يدى الله فيقول له سبحانه وتعالى يا عبدى
ادخل الجنة برحمتى فيقول بل بعملى يا رب فيأمر الله به فيحاسب بنعمة البصر فتستغرق جميع عبادته
خمسمائة عام وتبقى نعم الله عليه كثيرة فيأمر به سبحانه الى النار فيقول يا رب ادخلنى الجنة برحمتك فيأمر
الله به سبحانه الى الجنة برحمته وفى الحديث طول فليعلم العبد المتعبد لله ان الفضل لله عليه أولا وآخرا
وباطنا وظاهرا وعلى كل حال وفى كل موطن وكيف ما تقلبت به الاحوال فليحمد الله ويشكره وليعترف
بالمنة له والنعمة وبالقصور والتقصير عما يجب له من الحق ومن العبادة والخدمة ولو بلغ من ذلك ما بلغ
وانتهى فيه الى ما عسى ان ينتهى وقد بلغنا ان لله ملائكة منذ خلقهم الله تعالى وهم فى عبادته منهم
القائم لا يركع والراكع لا يسجد والساجد لا يرفع الى يوم القيامة فاذا كان ذلك اليوم رفعوا رؤسهم الى
ربهم وقالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك الاثر فى ذلك بهذا المعنى أو قريب منه وعلى المشغول بعبادة

ولأبى الطيب المتنبى
وكم من يعشق الدنيا قديما
ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك فى حياتك من حبيب
نصيبك فى منامك من خيال
وقال لقمان عليه السلام
من باع دنياه بآخرته ربحهما
جميعا ومن باع آخرته بدنياه
خسرهما جميعا ووصيته
لابنه الدنيا بحر عميق قد
غرق فيه ناس كثير فلتكن
سفينتك فيه تقوى الله
وحشوها الايمان وشراعها
التوكل لعلك تنجو وما أراك
ناج وقال مالك بن دينار
رحمه الله اذا سقم البدن
لا ينجع فيه طعام ولا شراب
ولا نوم ولا راحة وكذلك
القلب اذا غلبه حب الدنيا
لم تنفعه الموعظة وقال

الله تعالى ان يكون فى عبادته خاشعا لله وخاضعا حاضر القلب لا يغفل عن الله ولا يكون مشغول الظاهر بعبادته تعالى ومشغول القلب بحديث النفس فى أمور الدنيا وأحوال المعاش وذكر الناس فيكون بذلك مسيء الأدب مع ربه حيث يعبده ويعامله بظاهره دون باطنه وبجسمه دون قلبه   وفى الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وكذلك يحذر من العمل مع العجلة فيه وقلة التأنى حتى لا يتمكن مع ذلك من اعطاء العبادة حقها من واجب أو مسنون متأكد مثل الذى لا يرتل فى قراءته ولا يتدبر ولا يطمئن فى ركوعه واعتداله وسجوده وجلوسه فيحصل بسبب ذلك من صلواته وقراءته على غير طائل ولا نافع وربما تبطل العبادة بسبب ذلك من أصلها اذا أخل منها بواجب فيكون قد تلبس بعبادة غير صحيحة فيخرج منها مأزورا غير محمود ولا مأجور وعليه أيضا ان يقتصد فى عبادته ويقتصر منها على القدر الذى يقدر على المداومة عليه من غير ملالة ولا فتور   وقد قال عليه الصلاة والسلام تكلفوا من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا   وقال عليه السلام القصد القصد تبلغوا   وقال عليه السلام أحب الأعمال الى الله أدومها وان قل فعلم ان القليل من العمل يداوم عليه صاحبه خير من الكثير الذى لا يداوم عليه   ومن شأن الشيطان لعنه الله أن يغرى الانسان فى أول الأمر بالاستكثار من العبادة والافراط فيها لكن يرجع فى آخر الأمر اما الى الترك والملالة واما الى فعلها مع العجلة فيها التى لا يتمكن معها من اقامتها على وجهها من الخشوع والخضوع مع الله فيها فيصير حاله كحال من لم يعمل أو أدنى قرب فعل لا يحسنه صاحبه يكون التارك له أحسن حالا منه كما هو معروف ومشاهد من حال من يعمل ولا يحسن وقد قال الله تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا   وقال تعالى ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فانظر كيف يخص الاحسان ويشترطه فى الأعمال تعلم به ان الاحسان فى العمل أهم من العمل نفسه وفى الحديث ان الله كتب الاحسان على كل شئ فاذا عملت طاعة فتأن فيها وتثبت وأحسن وأعط كل جزء منها ما يكمل به ويتم من الخشوع والحضور مع الله فيه تكن من المحسنين ويكون الله سبحانه وتعالى معك اذ يقول تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وعليك أن لا يمر بك وقت ولا ساعة ولا نفس الا ويكون لك وظيفة من الخير تستغرقها به من صلاة أو تلاوة قرآن أو ذكر الله أو مطالعة علم نافع أو تفكر فى أمر دينى أخروى أو شغل بمعاش لا تستغنى عنه فى الاستعانة على معادك وآخرتك من غير ترخص ولا تأويل ولا تعلل بل يكون وجه الاستعانة به بينا ظاهرا والله يتولى هداك واعانتك ويأخذ بناصيتك الى ما يحبه ويرضاه ويقرب اليه ويزلف لديه فانه الولى المعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

القول فى تذكير الملابسين للمعاصى من عامة المسلمين وتخويفهم وتحذيرهم

(اعلم) ان المعاصى أقذار وأرجاس وأوساخ وأدناس قد عصم الله منها رسله وأنبياءه وحفظ منها أولياءه وأصفياءه وابتلى بها الاعداء والاشقياء والمطرودين والبعداء من الذين حقت عليهم الكلمة وتخلفت عنهم العناية ثم ان من أولئك الطوائف من تداركته الرحمة ووفق للتوبة فلحق بأهل الطاعات والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ومن تاب تاب الله عليه ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أى تبلغ روحه الحلقوم من الموت * ومنهم من أصر على المخالفة وتمادى على المعصية حتى خرج من الدنيا وصار الى الدار الآخرة فلاقى ربه دنسا متحملا باوزار المخالفات فكان أمره على نهاية من الخطر وغاية من الاشكال والضرر وخصوصا ان كان الذى مات وهو مصر عليه من الكبائر الموبقات مثل ترك الصلاة المكتوبة ومنع الزكاة المفروضة ومثل الزنا وشرب الخمر وظلم الناس وأكل أموالهم بالباطل ومثل عقوق الوالدين وأكل مال اليتيم وأشباه ذلك من المعاصى الموبقات والذنوب المهلكات * وعلى الجملة فالشرور كلها والبليات بجملتها المستجلبة للعقوبات والمهلكات العاجلة والآجلة الدنيوية والاخروية الظاهرة والباطنة انما سببها الوقوع فى الذنوب والمخالفات والتجرى على الله الملك الجبار ومبارزته بما يسخطه من خلاف أموره وركوب نهيه   قال الله تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة

لأصحابه انا أدعو وأمنوا أنتم اللهم لا تدخل بيت مالك من الدنيا لا قليل ولا كثير وكان اذا خرج من منزله يشد بابه بحبل ويقول لولا الكلاب تركته مفتوحا وكان يقول لا يبلغ العبد منازل الصديقين حتى يدع امرأته كأنها أرملة ويأوى الى الكلاب ومر على رجل يغرس فسيلا فغاب يسيرا ثم مر وقد أثمر فسأل عن غارسه فقيل له مات فانشأ يقول

مؤمل دنيا لتبقى له
فمات المؤمل قبل الأمل
يربى فسيلا ويعنى به
فعاش الفسيل ومات الرجل

ولابى العتاهية شعرا

كم عامر دار المسكن ظلها
سكن القبور وذاك لم يسكن

ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وقال
تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال تعالى أفأمن الذين مكروا السيآت
ان يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون الى قوله تعالى وان ربكم لرؤف رحيم فعلى
المؤمن الخائف لربه المشفق على نفسه المصدق بالرجوع الى الله وانه ملاقيه ان يجتنب الذنوب والمعاصى
كل الاجتناب ويحترز منها غاية الاحتراز ويتبعد عنها غاية البعد وينزلها فى الاجتناب لها بمنزلة السموم
القاتلة والمياه المغرقة والنيران المحرقة فان الملابسة لها والوقوع فيها أشد من ذلك كله من وجوه كثيرة
كما يعرف ذلك من له بصيرة فى الدين وعلم بسير عباد الله المؤمنين المتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من
الساعة مشفقون والذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون وليحذر كل الحذر مهما وقع فى شئ
منها من الاحتجاج بسبق القدر عليه من الله بالوقوع فيها وان ذلك مكتوب عليه وليس له محيص عنه فان
ذلك من الحجج الداحضة التى لا تغنى عن صاحبها شيأ ولا تنفعه بل تضره وتزيده من الله بعدا وتعرضه
للمقت والسخط من الله وعلى الجملة فالايمان بالقدر خيره وشره واجب فى أصل عقود الايمان والاحتجاج
به على الله غير جائز بل ذلك من الأمور المخطرة الشنيعة ومادام الانسان واختياره معه فليس له رخصة
ولا سعة فى أن يترك أوامر الله ويرتكب نواهيه وليس ينفعه قوله هذا مقضى وقد كتب على ومن أين له علم
ذلك ومسئلة القدر هذه مسئلة مشكلة وفيها اغوار بعيدة يتعسر العلم بها على الخاصة فضلا عن العامة
وكذلك من أضر الاشياء على الواقعين فى معاصى الله تعالى وترك أوامره امانى المغفرة وقولهم ان الله
كريم رحيم يغفر الذنوب للعصاة ولا يبالى وذلك صحيح وحق ولكن لا بد للعبد من امتثاله لامر سيده
الكريم الرحيم واجتنابه لما نهاه عنه وعليه ان يبذل جهده واستطاعته فى ذلك ويستفرغ فيه طاقته
وامكانه ثم يرجو بعد ذلك غفران ربه ورحمته ولا يتمنى ولا يغتر من غير جد ولا سعى فيكون بذلك ممن قال
فيهم تبارك وتعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر
لنا الآية وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله ومعنى دان نفسه حاسبها وقال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها
قبل ان توزنوا وتأهبوا للعرض الاكبر على الله تعالى وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه
الا رب مبيض لثيابه ومدنس لدينه الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين بادروا السيآت القديمات بالحسنات
الجديدات فلو أن أحدكم عمل من السيآت ما بينه وبين السماء وعمل حسنة لعلت فوق سيآته حتى تقهرها
وقال الحسن البصرى رحمه الله ان أمانى المغفرة قد لعبت بأقوام حتى خرجوا من الدنيا مفاليس يقول
عن الاعمال الصالحة وقال أيضا واياكم وهذه الأمانى فانها أودية النوكى أى الحمقاء (واعلم) ان الله تعالى
لم يذكر الرحمة والمغفرة فى وصفه لنفسه بذلك الا وقيده بقيود وشرطه بشرائط مثل قوله تعالى وانى
لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل
الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ونحو ذلك من الآيات وما وجد منها مطلقا فيحمل على المقيد
منها وقد قال عز من قائل كريم أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
الآية وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار
فقد علم وتبين ان الرجاء بلا عمل ولا سعى غرور وأمانى ومع ذلك العمل والسعى رجاء وحسن ظن ثم انا قد
بسطنا الكلام فى بيان هاتين المسئلتين الاحتجاج بالقدر عند الاضاعة لأمر الله وأمانى المغفرة مع
ركوب المخالفة وتسويف التوبة فى الكتاب المسمى بالنصائح الدينية فلينظره من أراد المزيد على ما هنا
والكل شافى كافى بعون الله وبركات رسوله لمن اتبع الهدى واجتنب الردى وما توفيقى الا بالله عليه
توكلت واليه أنيب وكذلك ينبغى للانسان أن لا يحدث نفسه بالتوبة من الذنب قبل الوقوع فيه فان ذلك

وفى بعض الآثار لا تزال
لا اله الا الله تنفع قائلها ما لم
يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم
فاذا فعلوا ذلك وقالوها قال
الله كذبتم لستم بها صادقين
وكان بعض السلف يقول
يا من يمسك السماء أن تقع
على الارض الا باذنه أمسك
عنى الدنيا ودخل ابراهيم
ابن أدهم على المنصور فقال
يا ابراهيم ما تقول فأنشده
شعرا
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا باق ولا ما نرقع
وقال انسان لداود الطائى
أوصنى فقال له صم عن الدنيا
واجعل فطرك الآخرة وفر
من الناس فرارك من
الاسد ورآه رجل فى المنام
وهو يعدو فقال له يا أبا

ربما يسهل عليه الوقوع فيه ويهون على قلبه الارتكاب له فيكون مثاله مثال الذى يتناول الطعام المسموم اعتمادا على انه يتناول الدواء الشافى منه فيكون ذلك سبب هلاكه أو مرضه لان الدواء ربما يتناوله من غير استجماع شرائط التناول له وربما تعرض عوارض أخر تمنعه من تناول الدواء من تسويف وتأخير وقصد معاودة وغير ذلك * واعلم ان الاجتناب للذنب والتباعد عن المعاصى أسهل وأيسر من التوبة منها بعد الوقوع فيها من وجوه كثيرة وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتوبة من الذنوب اذا وقعوا فيها ورغبهم ذلك ووعدهم بقبولها فضلا منه ووصف نفسه بذلك فى كتابه العزيز فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت ويعلم ما تفعلون وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الآية * ثم ان للتوبة شرائط لا تتم الا بها ولا تصير اهلا لان تقبل الا باجتماعها والاتيان بها على وجهها فاول ذلك واولاه الندم الصادق على ما سلف منه من الذنوب قال عليه الصلاة والسلام الندم توبة المعنى انه اذا صح الندم وكان صادقا كاد ان يتضمن ويجمع شرائط التوبة كلها ومن شرائطها أن يعزم على أن لا يعود الى الذنب التى تاب منه اليه ما عاش وان لا يكون فى حال توبته ملابسا ولا مصرا على شىء من الذنوب التى تاب عنها وعلى التائب أيضا ان يخرج من مظالم العباد التى كان ظلمهم بها من نفس أو عرض أو مال وان يبلغ فى ذلك نهاية امكانه واستطاعته وان يقضى ما فاته من فرائض الله المكتوبة عليه من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك فانه الا تتم توبته ولا تصير أهلا للقبول من الله حتى يأتى بجميع ذلك وما ضاق عنه الوقت الحاضر أخذ فيه وعزم على التدارك حسب الامكان والاستطاعة من غير تسويف ولا تكاسل ثم انه لا يزال بين الخوف والرجاء يخاف أن لا تقبل منه التوبة لتقصيره عن القيام بشرائطها وما يلزمه فيها ويرجو من فضل ربه قبول توبته وغفران حوبته والعفو عن ذنبه بمحض جوده وكرمه فانه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين * ومن علامات التائب الصادق فى توبته ملازمة الحزن والانكسار وكثرة البكاء والتضرع والاستغفار وهجران المواطن التى عصى الله فيها ومفارقة قرناء السوء وخلطاء الفساد من الفجار ثم ان الذنوب منها الكبائر ومنها الصغائر ولابد فى جميعها من التوبة غير أنها من الكبائر أوجب وآكد وقد تكفر الصغائر بالصلوات والجماعات والحسنات كما قال عليه الصلاة والسلام الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما اذا اجتنبت الكبائر والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما اذا اجتنبت الكبائر ورمضان الى رمضان كفارة لما بينهما اذا اجتنبت الكبائر وقال عليه الصلاة والسلام واتبع السيئة الحسنة تمحها وقال مولانا جلت قدرته ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى تعريف الكبائر وعدها حتى قال بعضهم انها مبهمة فى الذنوب ليكون الانسان على نهاية التحفظ والاحتراز من المعاصى كلها من خوف ان يكون فى الذنوب ما يأتيه منها من الكبائر وذلك على نحو ما قالوه فى اسم الله الأعظم فى أسمائه تعالى وفى ساعة الجمعة فى ساعات يومها وليلة القدر فى ليالى شهر رمضان وذلك له وجه ولكن ما صحت به الاحاديث فى تعريف أمثال ذلك هو المعتمد والمأخوذ به وبالله التوفيق * وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بأكبر الكبائر قالوا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور وشهادة الزور الحديث وقال عليه الصلاة والسلام اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات والاحاديث بنحو ذلك كثيرة وقد ألف الشيخ الامام أحمد بن محمد بن حجر الهيتمى رحمه الله تعالى كتابا حافلا سماه الزواجر عن اقتراف الكبائر فعد فيه منها ما يزيد على الاربعمائة ولكنه عد شيأ فى الكبائر لا يوافق على كونه كبيرة ولكنه قد يقيد فى أول تراجمها بقيود وينبه فى آخرها بتنبيهات يكاد يسلم بذلك من الاعتراض عليه فى عد ذلك من الكبائر وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله تعالى فى كتاب قوت القلوب ان الكبائر سبع عشرة ثم عدها فقال الكبائر سبع عشرة أربع فى القلب الشرك بالله والاصرار على المعصية والقنوط من رحمة الله والامن

سليمان مالك فقال الآن أفلت من السجن فلما استيقظ قيل له مات داود الطائى وقال الفضيل بن عياض رحمه الله جعل الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الرغبة فى الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهادة فى الدنيا وقال رحمه الله لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لكان ينبغى لنا ان نؤثر خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف والدنيا خزف يفنى والآخرة ذهب يبقى وقال رحمه الله لو أتيت بالدنيا وقيل لى خذها حلالا بلا حساب لكنت أستقذرها كما يستقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه وقال الامام

من مكر الله وأربع في اللسان القذف وشهادة الزور والسحر وهو كل كلام يغير الانسان أو شيأ من أعضائه واليمين الغموس وهي التي يبطل بها حق أو يثبت بها باطل وثلاث في البطن أكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا وشرب كل مسكر واثنتان في الفرج الزنا واللواط واثنتان في اليد القتل والسرقة وواحدة في الرجل الفرار من الزحف وواحدة في جميع البدن عقوق الوالدين انتهى وهو كلام حسن جامع لا يكاد يصادف مثله في بابه فعليك رحمك الله بالاحتراز البالغ من جميع الذنوب صغائرها وكبائرها فرب صغيرة قد تكون على صاحبها أضر من كبيرة والذنوب كالنار قد تحرق الشرارة منها القرية الواسعة وعن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما انه قال ان الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث خبأ رضاه في طاعته فلا تحتقروا من الطاعة شيأ فلعل رضاه سبحانه يكون فيه وخبأ سخطه في معصيته فلا تستحقروا شيأ من العاصي فلعل سخطه سبحانه يكون فيه وخبأ أولياءه في خلقه فلا تستحقروا منهم أحدا فلعله ان يكون وليا لله تعالى انتهى وقد ورد لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار وقال بعض السلف المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وقال غيره الاستغفار من غير اقلاع توبة الكذابين وقال آخر ان كنت تعصي الله وأنت ترى انه يراك فأنت مستهزئ بنظر الله وان كنت تعصيه وأنت ترى انه لا يراك فأنت كافر وقال آخر من عصى الله وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال آخر المؤمن يرى ذنبه كالذي يحت في أصل جبل وهو تحته كل ساعة يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب يقع على أنفه فقال بيده هكذا فأطاره نسأل الله ان يجملنا بستره ويسترنا بعافيته ويعافينا من مخالفته وعصيانه واضاعة أمره فانه نعم المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

❁ الصنف الثامن وهم المشركون الذين يدعون مع الله الها آخر تعالى الله عما يقولون وعما يدعون علوا كبيرا وهم أصناف منهم المشركون ومنهم المعطلون والجاحدون الى غير ذلك وكلهم في ضلالة وظلمات بعضها فوق بعض غير أن البعض منهم أشد ضلالة وكفرا وأكثر بهتانا وافتراء وليس لاحد منهم حجة ولا برهان بوجه من الوجوه ❁

❁ القول في دعوتهم الى الله والى توحيده والاقرار له سبحانه بالألوهية والربوبية من غير شريك له في ذلك ولا منازع ❁

قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقال تعالى انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما وقال تعالى انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد وقال تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم وقال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقال تعالى ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وقال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما وقال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار واذا كان هذا التشديد العظيم الهائل والوعيد الفظيع الشنيع في حق من يدعو مع الله الها آخر ويشرك به سواه في الالوهية مع انه يقر ويعترف لله بالالوهية والربوبية فكيف يكون الحال وعظيم الوبال والنكال في حق من ينكر أنه ليس للعالم اله من المعطلة ويقول ان العالم اله تعالى الله وتقدس عن قوله وافترائه أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون والانعام والبهائم بل والنبات والجمادات مقرة ومعترفة وشاهدة لخالقها وموجدها بالالوهية والوحدانية والربوبية ولو كانت تنطق لاعربت عن ذلك وأفصحت به قول الله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده الآية وقال تعالى أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون الى قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ولما كانت العرب قد أعطيت من التمييز وأيدت من المعقول بما لم يؤيد به غيرها

الشافعي رحمه الله لو كانت الدنيا تباع في السوق لما اشتريتها برغيف الا أرى فيها من الآفات وقال رحمه الله نظما

ومن يجهل الدنيا فاني طعمتها
وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم أرها الا غرورا وباطلا
كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي الا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها عشت سلما لاهلها
وان تجتذبها نازعتك كلابها

وقال بشر بن الحارث رحمه الله من سأل ربه الدنيا فقد سأله طول الوقوف بين يديه يعني للحساب وكان ينشد هذه الأبيات شعرا

أقسم بالله لرضخ النوى
وشرب ماء القلب المالحه

من الامم لم يصدر عنها الانكار لوجود الحق سبحانه وتعالى بل أقرت بوجوده وبكونه الخالق لكل شئ والرازق له كما حكى الله ذلك عنها فى غير ما آية من كتابه مثل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله وقوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون الى غير ذلك من الآيات المصرحات بما ذكرناه عن مشركى العرب ويبين ذلك ما حكى الله عنهم فى قوله تعالى انهم قالوا فيما أشركوا به من دون الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أى انهم جعلوها وسائل ووسائط يقصدون بعبادتهم التقرب الى الله فأخطؤا فى ذلك ولكنهم أقروا بوجود الحق وبكونه الخالق لهم ولكل شئ وانهم انما عبدوا ما عبدوه من الاصنام لتكون وسائل لهم عنده ومقربات لهم اليه وكانوا أعنى مشركى العرب يرجعون الى الله فى الشدائد وكشف المهمات والمصائب ولا يطلبون ذلك ولا يسألونه الا منه كما أخبر الله بذلك فى كتابه عنهم فى مثل قوله تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون أى تتضرعون وتستغيثون ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم كم لك من اله قال عشرة فقال عليه الصلاة والسلام الى أيهم ترجع عند الشدائد فقال الى الله فقال أسلم يا فلان فانه ليس لك من اله غير الله الحديث وقال عليه الصلاة والسلام لآخر وهو يدله على الله هو الذى اذا ضاعت راحلتك وأنت بأرض فلاة فدعوته ردها عليك واذا أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك وما أحسب ان أحدا يعقل الا وهو منساق الى اله تقضى عليه بذلك فطرته التى فطره عليها وتشهد له بربوبيته خلقته التى خلق عليها أصاب فى ذلك من أصاب وأخطأ فيه من أخطأ وما من اله الا الله العزيز الحكيم فمصنوعاته سبحانه ومخلوقاته ومبتدعاته التى ملأ بها أرضه وسمواته شاهدة له بالالوهية وناطقة له بالوحدانية وقد أجاد وأحسن القائل الذى يقول شعرا

أيا عجبا كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريكة * وتسكينة أثر شاهد
وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

ولما دعى أصحاب الكهف الى عبادة غيره سبحانه وتعالى وأن يعترفوا بالربوبية لعبد المربوب الذى ليس بأهل لذلك أنكروا ولم يقروا ولم يعترفوا لما قذف الله فى قلوبهم من النور وألقى فيها من التصديق والايمان به تعالى فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا الى قوله تعالى ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وكذلك شأن السحرة الذين جاء بهم فرعون اللعين ليدفع بسحرهم وكيدهم بزعمه الحق والبرهان الذى بعث به موسى وهرون عليهما السلام فعندما عرفوا وتحققوا أن الأمر الذى بعث به موسى وهرون عليهما السلام أمر سماوى الهى لا يطاق له دفاع ولا يستطيع أحد أن يرده ولا يغالبه أقروا بالحق واستسلموا وأسلموا وآمنوا بالله وحده فقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ولم يردهم عن ذلك ولم يصرفهم عنه ما توعدهم به فرعون لعنه الله من قطع الأيدى والأرجل من خلاف وصلبهم على جذوع النخل بل قالوا فى الرد عليه والاستهانة بما توعدهم به لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض الى قوله تعالى والله خير وأبقى ثم انه لعنه الله لم يسعه ولم يمكنه أن يرد عليهم ولا أن يدفعهم عن الايمان بالله لانه عرف وتبين له بأن لا حجة له بذلك ولا قوة له على الدفع فعدل الى قوله لهم آمنتم له قبل أن آذن لكم تكبرا منه ومدافعة بما لا ينفعه ولا يقوم له به حجة لان الايمان بالله والتوحيد له هيبة لا يمكن أحد يعقل أن يدفع أحدا عنه ولا يجادله فيه لانه الأمر الواضح البين الذى قامت به الحجج واتفقت عليه الأدلة القاطعة من السمعيات والعقليات فاعلم ذلك وتأمله حق تأمله فانه امر مهم ويكاد يشار اليه بما ذكره الله تعالى من آيات عديدة مثل قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله تعالى ما تدعون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم

أحسن للمؤمن من حرصه
ومن سؤال الأوجه الكالحه
فاستغن بالله تكن ذا غنا
مغتبطا بالصفقة الرابحه
اليأس عز والتقى سودد
ورغبة النفس لها فاضحه
من كانت الدنيا له برة
فانها يوما له ذابحه
وكان ينشد هذين البيتين لبعض السلف رضوان الله عليهم
مكرم الدنيا مهان
مستذل فى القيامه
والذى هانت عليه
فله ثم كرامه
وقال ضرار بن ضمرة يصف عليا كرم الله وجهه كان يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه

ما أنزل الله بها من سلطان الآية وقوله تعالى اخبارا عن أصحاب الكهف هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فالمدعى مع الله الها آخر لا تقوم له على ادعائه حجة البتة بل حجته بذلك بينة البطلان والاستحالة فلذلك يعدل المدعى الى غير ذلك كما عدل اليه فرعون لعنه الله وكذلك نمرود فيما حكى الله عنه من محاجته ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك الى قوله تعالى فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين * ثم اعلم ان التوحيد أعظم النعم وأكبرها وانفعها لأهل الدنيا والآخرة فعلى من أنعم الله به عليه وأكرمه به أن يعرف قدر نعمة الله بذلك وأن يسعى فى حفظها ودوام الشكر والاغتباط بها وأن يجتهد فى تقوية توحيده وثباته وتأكيده بملازمة الاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة والطاعات الخالصة التى هى من فروع التوحيد وثمرات الايمان مع الاحتراز والاجتناب لاضداد ذلك من الاخلاق السيئة والاعمال المنكرة التى هى من مضعفات الايمان وموجبات تزلزله واضطرابه حالا ومآلا لاسيما عند الموت قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن وقال صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وكان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يقولون المعاصى بريد الكفر فليبذل المؤمن من نهاية جهده وامكانه فى حفظ ايمانه وتقويته وتأكيده وتثبيت أركانه وليستعن بالله وليصبر على ذلك ويداوم عليه حتى يأتيه اليقين * ثم اعلم ان الايمان هو أصل الاصول وأنفس النفائس وأعز الاشياء وهو مع ذلك أشدها خطرا وأشقها حفظا وأحوجها الى حسن التعهد والتفقد وحسن النظر والاحتياط وكل عزيز ونفيس فعلى مثل ذلك يكون ويوجد ولا يزال المؤمن الشفيق على دينه المحتاط لايمانه ويقينه سائلا من الله ومتضرعا اليه فى أن يثبته على دينه وايمانه وأن لا يزيغ قلبه بعد اذ هداه الى توحيده ومعرفته وأن يكون خائفا من سلب ذلك وتزلزله وقد كان بعض السلف يحلف بالله انه ما أمن احد ايمانه ان يسلبه الا سلبه وذكر عن ابليس لعنه الله انه قال قصم ظهرى الذى يسأل الله حسن الخاتمة أقول متى يعجب هذا بعمله أخشى أنه قد فطن فالأمر الذى عليه المدار والتعويل والذى لا ينبغى لعاقل من أهل الايمان أن يكون أعظم اهتمامه وأشد حرصا عليه وسعيا له من سلامة التوحيد وحفظ الايمان حتى يموت ويخرج من الدنيا على ذلك بفضل الله وحسن تأييده وتثبيته فانه ان خرج من الدنيا على ذلك سلم من الشر كله وفاز بالخير كله دائما أبدا وان خرج من الدنيا على خلاف ذلك خسر خسرانا مبينا وهلك هلاكا مؤبدا والعياذ بالله ففقد التوحيد والايمان هو الذى لا ينفع مع فقده شئ بحال كائنا ذلك الشئ ما كان ولو كان عمل الاولين والآخرين وحيث بقى مع العبد توحيده وايمانه وسلم اله فليس يضره شئ ولو كان عاصيا مذنبا فاما ان يغفر الله له أو يعفو عنه وان عاقبه على ذنبه كانت عقوبة منقضية غير مخلدة ولا مؤبدة فانه لا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يموتوا على الايمان والاسلام ووصف انبياءه ورسله والصالحين من عباده بأنهم يسألونه ذلك ويدعونه به ويتواصون به حرصا عليه واعظاما له واغتباطا به فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين وقال تعالى اخبارا عن المؤمنين من السحرة حين توعدهم فرعون لعنه الله وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين * وقد وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحاديث الكثيرة الشهيرة فى بشارة اهل التوحيد والايمان ومن مات وهو لا يشرك بالله شيأ بالنجاة من النار والفوز بالجنة وغير ذلك من الخيرات والدرجات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن

وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين قابضا على لحيته قائلا يا دنيا غرى غيرى أبى تعرضت الى تشوفت قد بتتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك كبير آه آه من قلة الزاد وبعد الطريق ووحشة السفر وقال بعض السلف مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب بنعيمه وان أخذه من غير حله عذب به وقال المأمون رحمه الله ما أحسن أحد يصف الدنيا يعنى من الشعراء بمثل ما وصفها به الحسن بن هانئ فى قوله شعرا

لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل وفى رواية لمسلم من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وجاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبات قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيأ دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله صادقا من قلبه الا حرمه الله تعالى على النار قال يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا قال اذا يتكلوا فأخبر بها معاذ عند موته تأثما أى مخافة من الاثم فى كتمان هذا العلم وقال عليه الصلاة والسلام ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله تعالى وقال عليه الصلاة والسلام لأبى هريرة رضى الله عنه اذهب فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة وقال عليه السلام لمعاذ بن جبل رضى الله عنه يا معاذ هل أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيأ فقلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا وقال صلى الله عليه وسلم المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وقال عليه الصلاة والسلام أتانى جبريل فقال بشر أمتك انه من مات لا يشرك بالله دخل الجنة قلت يا جبريل وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر وقال عليه الصلاة والسلام أتانى آت من عند ربى فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لا يشرك بالله شيأ وقال عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة وحديث الرجل من هذه الأمة الذى يصاح به فتنشر له تسعة وتسعون سجلا من الخطايا كل سجل مد البصر فتطرح فى كفة الميزان فيقول الله تعالى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا اله الا الله فيقول الرجل ما هذه البطاقة فى جنب هذه السجلات فيقول الله تبارك وتعالى انك لا تظلم فتطرح البطاقة فى الكفة الأخرى فيرجح بها الميزان وتطيش تلك السجلات قال عليه السلام ولا يثقل مع اسم الله شئ حديث مشهور وبلغنا ان رجلا كان بعرفات وقت الحج وانه اخذ سبع حصيات فأشهدها أنه يشهد أن لا اله الا الله فروئى بعد ذلك فى النوم أنه وقف بين يدى الله للحساب وأنه حوسب وأمر به الى النار فاجئ به الى باب من أبوابها الا وجاء حجر فسد ذلك الباب وقيل له ان هذه هى الأحجار التى أشهدتها بانك تشهد أن لا اله الا الله ثم أمر به الى الجنة فجاءت لا اله الا الله ففتحت له أبواب الجنة بفضل الله ورحمته والحمد لله رب العالمين

﴿خاتمة الكتاب فى مواعظ ومذكرات يستيقظ بها المعرض الغافل ويتذكر بها اللبيب العاقل ان شاء الله تعالى تشتمل على آيات من كتاب الله وأحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آثار تؤثر عن الصحابة والتابعين وعن العلماء العاملين وعباد الله الصالحين﴾

قال الله تبارك وتعالى لرسوله الأمين أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال تعالى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقال تعالى أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا وقال تعالى ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تركت فيكم واعظين ناطق وصامت فاما الناطق فكتاب الله وأما الصامت فالموت وقال العرباض بن سارية رضى الله عنه وعظنا

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق
وما الناس الا هالك وابن هالك
وذو نسب فى الهالكين عريق

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله ليكن نظرك فى الدنيا اعتبارا وزهدك فيها اختيارا وأخذك منها اضطرارا وقال رحمه الله تركت الدنيا لكثرة عنائها ولقلة غنائها وسرعة فنائها ولخسة شركائها وقال أيضا الدنيا حانوت ابليس من أخذ منه شيأ تبعه حتى يأخذه الدنيا من أولها الى آخرها لا تساوى غم ساعة فكيف بغم

رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها
موعظة مودع فأوصنا فقال عليه الصلاة والسلام أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم
عبد حبشي وانه من يعش منكم فيسرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهتدين عضوا
عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقال عليه السلام كأن الموت فيها على
غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن الذي نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون
نبوئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون من بعدهم قد نسينا كل موعظة وأمنا كل جائحة وقال عليه
الصلاة والسلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة وقال
عليه الصلاة والسلام يا أيها الناس توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا
وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وقال عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث في روعي
عش ما عشت فانك ميت وأحبب من أحببت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزى به وقال عليه
السلام كن في الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور وقال عليه السلام اغتنم
خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك
وحياتك قبل موتك وقال عليه السلام بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا
ويمسي كافرا او يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض يسير من الدنيا وقال عليه السلام كفى
بالموت واعظا وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وقال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفراش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله والصعدات هي
الطرق وتجأرون أي تتضرعون وقال عليه السلام ما من صباح يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان
فيقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا وقال عليه السلام استحيوا
من الله حق الحياء فقالوا انا نستحي والحمد لله فقال عليه السلام من استحى من الله حق الحياء حفظ
الرأس وما وعى وحفظ البطن وما حوى وذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا
ومن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء وقال عليه الصلاة والسلام ما منكم من أحد الا سيكلمه
ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر
بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عليه السلام بادروا بالأعمال سبعا
هل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب
ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر وقال عليه السلام انا النذير والموت المغير والساعة الموعد
وقال عليه السلام لعقبة بن عامر رضي الله عنه أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وقال عليه السلام قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وقال عليه السلام يتبع الميت
ثلاث أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله وقال عليه السلام يقول
العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأقنى وما سوى ذلك فهو ذاهب
وتاركه للناس وقال عليه السلام الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له وقال عليه السلام
لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن عمله ماذا عمل فيه وعن ماله من
أين اكتسبه وعن جسمه فيما أبلاه وقال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وقال عليه السلام كل آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقال عليه السلام ما بعد الموت من مستعتب وما بعد
الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما استخلف اني قد وليت أمركم
ولست بخيركم وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له الحق وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق
منه فاذا أحسنت أو قال استقمت فأعينوني واذا رأيتموني زغت فقوموني وقال رضي الله عنه من مقت
نفسه في ذات الله عز وجل أمنه الله من مقته وعن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما انها قالت

عمرك مع قلة نصيبك منها
وقال بعض الصالحين نظما
ومن يحمد الدنيا العيش يسره
فسوف لعمري عن قريب
يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء
حسرة
وان أقبلت كانت كثيرا
همومها
ودعى الرشيد بشربة ماء
فأتى بها وكان ابن السماك
عنده فقال له أرأيت لو حيل
بينك وبين هذه الشربة
أكنت تشتريها بملكك قال
نعم فقال ابن السماك أف
دنيا لا تساوي شربة ماء
وقيل لبعض المتقدمين ممن
طال عمره صف لنا الدنيا
فقال بيت له بابان دخلت
من احداهما وخرجت من

لأ بيها يا أمير المؤمنين ما عليك لو لبست ثوبا ألين من ثوبك هذا أو أكلت طعاما غير هذا وقد فتح الله عليك الارض وأوسع لك الرزق فقال انى سأخاصمك الى نفسك أما تعلمين ما كان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش فما زال يذكرها حتى أبكاها ثم قال قلت لك انه كان لى صاحبان سلكا طريقا وانى ان سلكت غير طريقهما سلك بى غير طريقهما وانى والله لأشركنهما فى مثل عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما عيشهما الرخى يعنى بصاحبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق رضى الله عنه وعن أنس رضى الله عنه قال لما قتل البغاة المعتدون عثمان بن عفان رضى الله عنه دخلوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقا فقالوا هذا ما احتازه من فىء المسلمين فكسروه فوجدوا فيها حقة فقالوا فيها جواهر فكسروها فوجدوا فيها ورقة مكتوب فيها عثمان يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور عليها نحيى وعليها نموت ووجدوا فى ظهرها مكتوب شعرا

غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها ✽ وان مسها حتى يضر بها الفقر
فما عسرة فاصبر لها ان لقيتها ✽ بكائنة الا ومن بعدها يسر

قال فأسقط فى أيدى القوم وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه لمن حضر تشحط عثمان فى الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط فى الموت قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا ثم قال والذى نفسى بيده لو قال لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة ✽ وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم عملك وان لا تباهى الناس بعبادة ربك فان أحسنت حمدت الله وان أسأت استغفرت الله ولا خير فى الدنيا الا لأحد رجلين رجل أذنب ذنبا فهو يتدارك ذلك ورجل يسارع فى الخير وقال رضى الله عنه احفظوا عنى خمسا فلو ركبتم الابل فى طلبهن لأنضيتموهن قبل ان تدركوهن لا يرجو عبد الا ربه ولا يخاف الا ذنبه ولا يستحى جاهل ان يسأل ولا يستحى عالم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول الله أعلم والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا ايمان لمن لا صبر له وقال رضى الله عنه التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقال رضى الله عنه أشد الاعمال ثلاثة اعطاء الحق من نفسك وذكر الله تعالى على كل حال ومواساة الأخ بالمال وقال ضرار بن ضمرة الكنانى رحمه الله فى وصفه حين وصفه لمعاوية وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يتململ فى محرابه قابضا على لحيته تململ السليم ويبكى بكاء الحزين وكأنى أسمعه الآن وهو يقول يا ربنا يا ربنا يتضرع اليه يقول يا دنيا الى تعرضت أم الى تشوقت هيهات هيهات غرى غيرى قد بتتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كثير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وعن عمر رضى الله عنه قال نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل قد نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون ومرض خباب بن الارت رضى الله عنه فعاده نفر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقال أبشر يا أبا عبد الله اخوانك تقدم عليهم غدا فبكى وقال اما انه ليس بى جزع ولكن ذكرتمونى أقواما وسميتم لى اخوانا ان أولئك مضوا بأجورهم كما هى وانى أخاف ان يكون ثواب ما تذكرون من تلك الاعمال ما أوتيناه من بعدهم يريد من أمور الدنيا وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حبذا المكروهات الموت والفقر وأيم الله ان هؤلاء الغنى والفقر وما أبالى بأيهما بليت ان حق الله فى كل واحد منهما واجب ان كان الغنى ان فيه العطف وان كان الفقر ان فيه الصبر وقال وما أبالى اذا رجعت الى أهلى على أى حال أراهم بسراء أم بضراء وما أصبحت على حالة فتمنيت انى على سواها وقال ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له فقيل

الآخر ورأيت سنيات بلاء وسنيات رخاء ومولود يولد وهالك يهلك فلولا من يلد ما بقى منهم أحد ولولا من يهلك ما وسعتهم الدنيا وقال بعض الحكماء الدنيا خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والآخرة عمار وأعمر منها قلب من يطلبها وقيل لحكيم آخر الدنيا لمن قال لمن تركها قيل فالآخرة لمن قال لمن طلبها وقيل لبعض الزهاد وكيف رأيت الدنيا قال تخلق الأبدان وتجدد الآمال وتقرب المنية وتبعد الأمنية قيل فما حال أهلها قال من ظفر بها تعب ومن فاتته نصب ولله در من يقول شعرا

أرى الدنيا لمن هى فى يديه
عذابا كلما كثرت عليه
تهين المكرمين لها بصغر
وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت من شىء فدعه
وخذ ما أنت محتاج اليه

قال الامام حجة الاسلام فى الاحيا أما بعد فان الدنيا عدوة الله وعدوة أولياء الله وعدوة اعداء الله أما عداوتها

له لم ذلك قال لانه يرضيه بما يسخط الله تعالى وقال الامام الغزالى رحمه الله تعالى وذلك لان الداخل على السلطان معرض لان يعصى الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما باعتقاده ولا ينفك عن أحد هذه الامور وكان عمار بن ياسر رضى الله عنهما طويل الصمت طويل الحزن والبكاء وكان عامة كلامه عياذا بالله من الفتنة ولما بنى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه داره قال لعمار رضى الله عنه هلم انظر الى ما بنيت فانطلق عمار فنظر اليه فقال بنيت مشيدا وأملت بعيدا وتموت قريبا ودخل معاذ بن جبل رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف أصبحت يا معاذ فقال أصبحت بالله مؤمنا ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول فقال يا رسول الله ما أصبحت صباحا قط الا ظننت أنى لا أمسى ولا أمسيت مساء قط الا ظننت أنى لا أصبح ولا خطوت خطوة قط الا ظننت أنى لا أتبعها أخرى وكأنى أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها معها نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله عز وجل وكأنى أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم قد عرفت فالزم وقال عتبة ابن غزوان فى خطبته بالبصرة ان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء يتصابها صاحبها وانكم منتقلون منها الى دار قرار فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ولقد بلغنى ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ولقد بلغنى ان صخرة لو هوت من شفير جهنم هوت سبعين خريفا أفعجبتم ولقد رأيتنى وسعد بن مالك وانى لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا وأصبت بردة فشققتها بينى وبين سعد بن مالك فما من أولئك السبعة الا أميرا على مصر الا وانكم ستجربون الأمراء بعدى وفى رواية انى أعوذ بالله ان أكون فى نفسى عظيما وفى أنفس الناس صغيرا وستجربون الامراء بعدى قال الحسن فجربناهم فوجدناهم ما أنتانا سعد بن مالك وهو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه ثلاثا أعجبتنى حتى أضحكتنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس مغفولا عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى اساخط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزننى حتى بكيت فراق محمد سيد الاولين والآخرين وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدى الله عز وجل ولا أدرى ينصرف بى الى الجنة أم الى النار وقال حذيفة بن اليمانى رضى الله عنه ان الرجل ليدخل المدخل الذى يجب عليه ان يتكلم فيه لله تعالى فلا يتكلم فلا يعود قلبه الى ما كان عليه أبدا وقال ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه الا من دعا بدعاء كدعاء الغريق وقال رجل لأبى الدرداء رضى الله عنه أوصنى فقال اذكر الله عز وجل فى السراء يذكرك فى الضراء واذا أشرفت على شىء من الدنيا فانظر الى ماذا يصير وقال رضى الله عنه حبذا نوم الاكياس وافطارهم كيف يعيبون سهر الحمقاء وصيامهم ولذرة من ذى يقين وتقوى من البر خير من أمثال الجبال من أعمال المغترين ولما مات زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما وجدوه يعول مائة أهل بيت وكان اذا اقرض قرضا لم يستعده واذا أعار ثوبا لم يرجعه واذا وعد انسانا لم يأكل ولا يشرب حتى يفى بوعده واذا مشى فى حاجة فوقفت قضاها من ماله وكان يحج ويغزو ولا يضرب راحلته وكان يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة وقال الباقر محمد بن على رضى الله عنهما ما الدنيا وما عسى ان تكون هل هو الا ثوب لبسته أو مركب ركبته أو امرأة أصبتها وقال رحمه الله كان لى صاحب وكان عظيما فى عينى وكان الذى عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه وقال رحمه الله لابنه يا بنى اياك والكسل والضجر فانهما مفتاح كل شر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق وقال سفيان الثورى رحمه الله تعالى لجعفر الصادق رضى الله عنه حدثنا فقال اذا أنعم الله عليك بنعمة فاحببت بقاءها فأكثر من الحمد والشكر عليها لله عز وجل قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم واذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار قال الله تعالى واستغفروا ربكم انه كان غفارا واذا أحزنك أمر من سلطان أوغيره فأكثر من لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة وقال رضى الله عنه عجبت لمن ابتلى بأمر لنفسه

لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر اليها مذ خلقها واما عداوتها لأوليائه فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها وأما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع منها الاكباد ثم حرمتهم من السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون فلا يغاثون بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون انتهى وعلى الجملة فالآيات والاخبار والآثار فى هذا الباب أكثر من أن تحصى وأبعد من أن تستقصى وفيما أشرنا اليه كفاية وعبرة لمن يعتبر وتذكرة لمن يتذكر وما يذكر الا من ينيب

(ولنختم) هذه الخاتمة بذكر

كيف لا يقول ماشاء الله لاقوة الا بالله والله يقول ولولا اذدخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله
وعجبت لمن خاف قوما كيف لا يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول الذين قال لهم الناس ان
الناس قدجمعوا لكم فاخشوهم الى قوله تعالى لم يمسسهم سوء وعجبت لمن مكر به كيف لا يقول وأفوض
أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد الى قوله تعالى فوقاه الله سيآت مامكروا وعجبت لمن أصابه غم كيف
لا يقول لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين الى قوله تعالى فنجيناه من الغم وكذلك ننجى
المؤمنين وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اوصنى فقال أوصيك بتقوى الله عزوجل التى
لا يقبل غيرها ولا يرحم الا أهلها ولا يثيب الا عليها فان الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل وقال رحمه
الله فى خطبته أما بعد فان مافى ايديكم اسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الماضون ألا ترون
انكم فى كل يوم وليلة تشيعون غاديا ورائحا الى الله تعالى وتضعونه فى صدع من الارض غير ممهد ولا موسد
قد خلع الاسباب وفارق الأحباب واسكن التراب وواجه الحساب فقير لما قدم أمامه غنى عما ترك
بعده أما والله انى لاقول لكم هذا وما أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسى ثم قال بطرف
ثوبه على عينيه هكذا وبكى فكانت هذه آخر خطبة خطبها وقال الحسن البصرى رحمه الله ان المؤمن قوام
على نفسه يحاسب نفسه لله عزوجل وانما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وانما
يشق الحساب على قوم اخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ان المؤمن يفجأه الشئ يعجبه فيقول والله انى
لأحبك وانى محتاج اليك ولكن والله مامن وصلة اليك وهيهات حيل بينى وبينك ويفرط منه الشئ
فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت بهذا مالى ولهذا والله لا اعود الى مثل هذا أبدا ان شاء الله تعالى وان
المؤمنين قد أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم وان المؤمن أسير فى الدنيا يسعى فى فكاك رقبته
لا يأمن شيأ حتى يلقى الله تعالى يعلم انه مأخوذ عليه فى سمعه وبصره ولسانه وجوارحه وقال رحمه الله انك
لا تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك
فتصلحه فاذا فعلت ذلك لم تصلح عيبا الا وجدت عيبا آخر لم تصلحه فاذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة
نفسك وأحب العباد الى الله تعالى من كان كذلك وماسمع الخلائق بيوم قط أكثر عورة بادية ولا عين باكية
من يوم القيامة وقال رحمه الله ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة انه من عصى الله فقد حاربه والله
لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم لقالوا مالهؤلاء من
خلاق ولو رأوا شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب والله لقد رأيت اقواما كانت الدنيا أهون على
أحدهم من التراب تحت قدمه ولقد رأيت أقواما يمسى أحدهم ولا يجد عنده الا قوته فيقول لا أجعل هذا
كله فى بطنى لأجعلن بعضه لله فيتصدق ببعضه وان كان هو احوج اليه ممن يتصدق به عليه وقال ثابت
البنانى رحمه الله ان اهل ذكر الله عزوجل يجلسون لذكر الله تعالى وعليهم من الآثام أمثل الجبال فاذا
ذكروا الله تعالى يقومون من مجلسهم بعد ذكر الله عطلا من الذنوب ماعليهم منها شئ وقال رحمه الله اذا
وضع المؤمن فى قبره احتوشته اعماله وقال ان المؤمن اذا بعث من قبره تلقاه الملكان اللذان كانا معه فى
الدنيا يقولان له لا تخف ولا تحزن وابشر بالجنة التى كنت توعد وقال الربيع بن خيثم رحمه الله اعدزادك
وجد فى جهازك وكن وصى نفسك وقال ان الناس خافوا الله فى ذنوب الناس وآمنوا منه سبحانه وتعالى
على ذنوبهم ولما أصابه الفالج قيل له لو تداويت فقال قد عرفت ان الدواء حق ولكنى ذكرت عادا وثمود
واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع وكانت لهم الاطباء فمابقى المداوى ولا المداوى
وقال مالك بن دينار رحمه الله ماتنعم المتنعمون بمثل ذكر الله سبحانه وتعالى وقال ان الصديقين اذا قرئ
عليهم القرآن طربت قلوبهم الى الآخرة وقال لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها ارملة
ويأوى الى منازل الكلاب وقال نظرت فى اصل كل اثم فوجدته حب الدنيا فمن ألقى حبها استراح وقال
رأيت فى بعض الكتب ان الله عزوجل يقول ان اهون ما انا صانع بالعالم اذا احب الدنيا ان أخرج حلاوة

شئ من كلام رأس الزاهدين
وحجة الله عليهم عيسى بن
مريم على نبينا وعليه افضل
الصلاة والسلام قال عيسى
عليه السلام الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها
يا طالب الدنيا لتبر بها
تركك لها أبر وأبر لا يجتمع
حب الدنيا والآخرة فى قلب
مؤمن كما لا يجتمع الماء والنار
فى اناء واحد وقال عيسى
عليه السلام الدنيا عرض
حاضر يأكل البر والفاجر
والآخرة وعد صادق يحكم
فيه ملك قادر وقال عليه
السلام لا تتخذوا الدنيا ربا
فتتخذكم عبيدا اكنزوا
كنزكم عند من لا يضيعه فان
صاحب كنز الدنيا يخاف
عليها الآفة وصاحب كنز الله
لا يخاف الآفة وكان عليه
السلام يقول ادامى الجوع
وشعارى الخوف ولباسى
الصوف وصلاتى فى الشتاء
مشارق الشمس وسراجى
القمر ودابتى رجلاى
وطعامى وفاكهتى ما أنبتت
الارض أبيت وليس لى شئ
واصبح وليس لى شئ وما
احد على الارض أغنى منى

ذكرى من قلبه وقال اذا لم يكن في القلب حزن خرب كما اذا لم يكن في البيت ساكن فانه يخرب وقال سفيان الثوري رحمه الله الاعمال السيئة داء والعلماء دواء فاذا افسد العلماء فمن يشفي الداء وقال العالم طبيب الدين والدرهم داء الدين فاذا جر الطبيب الداء الى نفسه فمتى يداوي غيره وكان يقول ما اطاق احد العبادة ولا قوى عليها الا بشدة الخوف وقال انما يطلب العلم ليتقي الله به فمن ثم فضل ولولا ذلك لكان كسائر الاشياء وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله وجدت الخلوة اصلح لقلبي وقال العافية عشرة اجزاء كلها في التغافل وقال له ولده عبد الله وهو صبي يا أبي هب لي قطعة فقال أبوك ما يملك قطعة ويوم لا يملك فيه قطعة احب اليه من يوم يملك فيه قطعة والقطعة شيء قليل جدا من الفضة وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا وقال رحمه الله أيضا من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن اطلق بصره طال أسفه ومن طال أمله ساء عمله ومن اطلق لسانه قتل نفسه وقال رحمه الله ما أصدق الله عبد احب الشهرة وقال رجل لداود الطائي اوصني فقال له صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفر من الناس كما تفر من الأسد وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول اللهم سلم سلم وكان داود الطائي يقول اللهم خلص خلص ويقول انما يسأل السلامة من لم يقع واما من وقع فانما يسأل الخلاص وسئل ابن المبارك رحمه الله تعالى من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة فقال الذي يأكل بدينه وقال رحمه الله العجب ان ترى عندك شيأ ليس عند غيرك والكبر أن تزدري الناس وقال الفضيل بن عياض رحمه الله لم يدرك عندنا من ادرك بكثرة صيام ولا صلاة وانما ادرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للامة وقال رحمه الله لم يتزين الناس بشيء افضل من الصدق وطلب الحلال وقال رحمه الله التواضع ان تخضع للحق وتنقاد له وتقبل الحق من كل من تسمعه منه وقال ابى الله أن لا يجعل ارزاق المتقين الا من حيث لا يحتسبون وقال ابو عبد الله خادم محمد بن اسلم الطوسي رحمه الله دخلت على محمد بن اسلم قبل موته باربعة أيام بنيسابور فقال يا أبا عبد الله تعال ابشرك بما صنع الله باخيك من الخير وقد نزل بي الموت وقد من الله علي انه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه وقد علم الله ضعفي واني لا أطيق الحساب فلم يدع عندي شيأ يحاسبني عليه ثم قال اغلق الباب ولا تأذن لاحد علي حتى أموت واعلم اني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثا غير كسائي ولبدي واناني الذي أتوضأ منه وكتبي هذه لا تكلف الناس مؤنة وكانت معه صرة فيها ثلاثون درهما فقال هذا لابني أهداه له قريب له ولا أعلم شيأ أحل لي منه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال أنت ومالك لابيك وقال أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وولده من كسبه كفنوني منه فان أصبتم بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر وابسطوا على جنازتي لبدي وغطوا على جنازتي كسائي وتصدقوا باناني أعطوه مسكينا يتوضأ منه ثم مات اليوم الرابع فعجبت ان قال لي ذلك بيني وبينه فلما اخرجت جنازته جعلن النساء يقلن من فوق السطوح يا أيها الناس هذا العالم الذي خرج من الدنيا وهذا ميراثه الذي على جنازته ليس مثل علمائنا هؤلاء الذين هم عبيد بطونهم يجلس أحدهم للعلم سنتين أو ثلاثا فيشتري الضياع ويستفيد المال وقال معروف الكرخي رحمه الله لرجل توكل على الله حتى يكون هو معلمك وأنيسك وموضع شكواك وليكن ذكر الموت جليسك لا يفارقك (واعلم) ان شفاء كل بلاء نزل بك كتمانه فان الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يمنعونك وقال معروف انما الدنيا قدر يغلي وكنيف يملأ ويرمى به وقال اذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه أبواب العمل وأغلق عنه أبواب الجدل وقال كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عز وجل وجاء حجام يأخذ من شارب معروف وكان معروف يسبح فقال الحجام لا يمكن أخذ الشارب وأنت تسبح فقال أنت تعمل وأنا لا أعمل وقال أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله تعالى فقدنا ثلاثة أشياء لا نجدها حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الامانة وقال من زين بطنه بالمراقبة والاخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال اذا أنت لا تسمع نداء الله

وقال عليه السلام عجبت لغافل ليس بمغفول عنه ومؤمل دنيا والموت يطلبه وبان قصرا والقبر مسكنه ان خشية الله وحب الفردوس يباعدان من زهرة الدنيا ويورثان الصبر على المشقة وان أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس وكان يقول يا معشر الحواريين قد أكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي وقالوا له مالك تمشي على الماء ونحن لا نستطيع المشي عليه قال كيف منزلة الدينار والدرهم قالوا حسنة رفيعة قال لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر وتوسد حجرا فأتاه ابليس فقال له يا عيسى ركنت الى الدنيا فرمى اليه الحجر وقال ما عندي منها غير هذا واشتد عليه المطر والبرق والرعد يوما فرفعت له خيمة فقصدها فاذا فيها امرأة فتركها ورأى مغارة فأتاها فرأى بها سبعا فقال اللهم جعلت لكل مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله اليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوجنك آلافا من الحور العين ولأطعمن أهل الجنة في عرسك آلافا من السنين وقال

عز وجل كيف تجيب داعى الله تعالى وقال بشر بن الحارث رحمه الله يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حكيم ويأتى على الناس زمان يكون فيه الدولة للحمقاء على الاكياس وقال رحمه الله انك لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد وقال الحسن المسوحى رآنى بشر بن الحارث يوما وأنا أرتعد من البرد فنظر الى وقال شعرا

قطع الليالى مع الايام فى خلق * والنوم تحت رواق الهم والقلق

أحرى وأجدر بى من أن تقال غدا * انى التمست الغنى من كف مختلق

قالوا اقتنعت بذا قلت القنوع رضا * ليس الغنى كثرة الاموال والورق

رضيت بالله فى عسرى وفى يسرى * فلست أسلك الا أوضح الطرق

وقال السرى السقطى رحمه الله من أراد أن يسلم دينه ويستريح قلبه وبدنه ويقل غمه فليعتزل الناس لان هذا زمان عزلة ووحدة وقال من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم وقال قليل فى سنة خير من كثير فى بدعة وكيف يقل عمل مع تقوى وقال ابن أبى الورد دخلت يوما على السرى وهو يبكى ودورقه مكسور فقلت له مالك فقال انكسر الدورق فقلت له أنا أشترى لك بدله فقال له من أين تشترى لى بدله وأنا أعرف الدانق الذى اشترى به الدورق ومن عمله ومن أين أخذ طينه وأى شىء أكل عامله حتى فرغ من عمله وسئل ذو النون المصرى عن المحبة فقال ان تحب ما أحب الله وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير كله وترفض ما يشغلك عن الله وان لا تخاف فى الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين والغلظة للكافرين واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدين وقال رحمه الله قال تعالى من كان لى مطيعا كنت له وليا فليثق بى وليحكم على فوعزتى وجلالى لو سألنى زوال الدنيا لازلتها وقال رحمه الله كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها واليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على علمه ويكسب اليوم الرجل بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة فى باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر وقال الانس بالله نور ساطع والانس بالخلق غم واقع وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله ان الله عز وجل قال لآدم عليه الصلاة والسلام يا آدم أنا الله لا اله الا أنا فمن رجا غير فضلى وخاف غير عدلى لم يعرفنى وقال سهل البلوى من الله عز وجل على وجهين بلوى رحمة وبلوى عقوبة فبلوى الرحمة تبعث صاحبها على اظهار فقره وفاقته الى الله سبحانه وتعالى وترك تدبير نفسه واختيارها وبلوى العقوبة تبعث صاحبها على اختيارات نفسه وتدبيرها وقال سهل استجلاب حلاوة الزهد بقصر الأمل واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الذكر وتزين لله عز وجل بالصدق فى الأحوال كلها واياك والتسويف فان التسويف يغرق الهلكى واياك والغفلة فان فيها اسوداد القلب واستجلاب زيادة النعم تعظم الشكر ولست بالغافل شيئا وقال سهل الغضب أشد على البدن من المرض لأنه اذا غضب دخل عليه من الألم أكثر مما يدخل من المرض ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا تغضب وكرر مرارا وقال سهل يأتى على الناس زمان يذهب الحلال من أيدى أغنيائهم وتكون أموالهم من غير حلها فيسلط الله بعضهم على بعض فتذهب لذة عيشهم ويلزم قلوبهم خوف فقر الدنيا وخوف شماتة الأعداء ولا يجد لذة العيش الا عبيدهم وعيالهم ويكون ساداتهم فى بلاء وشقاء وعناء وخوف من الظالمين ولا يستلذ بعيش يومئذ الا منافق لا يبالى من أين أخذ وفيما أنفق ولا كيف أهلك نفسه وحينئذ تكون رتبة القراء رتبة الجهال وعيشهم عيش الفجار وموتهم موت أهل الحيرة والضلال وقال الجنيد بن محمد رحمه الله البلاء سراج العارفين ويقظة المريدين وهلاك الغافلين وسئل الجنيد عن الشفقة فقال ان تعطى الناس من نفسك ما يطلبونه ولا تحملهم ما لا يطيقون ولا تخاطبهم بما لا يعلمون وقال اذا صحت المودة سقطت شروط الأدب وقال يا معشر الشباب جدوا واقبل ان تعجزوا واجتهدوا قبل أن تطلبوا أثرا بعد عين فانى تذكرت مجاهدات كانت لى تقبح فى عينى بطالتى اليوم قال منصور بن على

عليه السلام يا ابن آدم ان كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك فالقليل منها يكفيك وان كنت تريد منها فوق ما يكفيك فجميع الدنيا بأسرها ما يكفيك فلا تهلكوا أنفسكم بطلب الدنيا واغلبوا أنفسكم عليها بترك ما فيها فمراة دخلتموها ومراة تخرجون منها فاستملوا ارزق يوم بيوم واعلموا ان الله قد جعل الدنيا قليلا وما بقى منها قليل قد شرب صفوه وبقى كدره واعلموا ان الدنيا دار عقوبة وغرور فكونوا فيها كرجل يداوى جرحه يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء وعافية الداء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة. وقال عليه السلام عجبا لكم تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها الا بالعمل وتمثلت له الدنيا فى صورة امرأة عليها من كل زينة فقال لها هل لك من زوج قالت أزواج كثيرة فقال فكلهم طلقك أم كلهم قتلت قالت بل كل قتلت قال هل حزنت على أحد منهم قالت هم يحزنون على ولا احزن عليهم ويبكون على ولا أبكى عليهم قال عجبا

وكانت حالته اذذاك من أعظم أنواع المجاهدات وقال الحسن البصرى رحمه الله الناس فى هذه الدنيا على خمسة أصناف العلماء هم ورثة الأنبياء والزهاد هم الأولاد والقراء هم أسياف الله والتجار هم أمناء الله والملوك هم رعاة الخلق فاذا أصبح العالم طامعا وللمال جامعا فبمن يقتدى واذا أصبح الزاهد راغبا فبمن يستدل ويهتدى واذا أصبح الغازى مرائيا والمرائى لاعمل له فبمن يظفر بالعدا واذا كان التاجر خائنا فبمن يؤمن ويرتضى واذا أصبح الملك ذئبا فمن يحفظ الغنم ويرعى فوالله ما أهلك الناس الا العلماء المداهنون والزهاد الراغبون والغزاة المراؤن والتجار الخائنون والملوك الظالمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأنشد الشيخ الصالح عبد العزيز الدرينى رحمه الله لنفسه فى هذا المعنى

اذا مات ذو علم وتقوى * فقد ثلمت من الاسلام ثلمه
وموت العابد المرضى نقص * ففى مرآه للاسرار نسمه
وموت العادل الملك المولى * بحكم الحق منقصه وقصمه
وموت الفارس الضرغام هدم * فكم شهدت له بالنصر عزمه
وموت فتى كثير الجود محل * فان بقاءه خصب ونعمه
فحسبك خمسة يبكى عليهم * وموت الغير تخفيف ورحمه

روى انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من اياد فسألهم عن قيس بن ساعدة فقالوا هلك فقال رحمه الله كأنى أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا فان من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت أما بعد فان فى السماء لخبرا وفى الأرض لعبرا بحر تمور ونجوم تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع أقسم قس بالله قسما ان لله دينا أرضى من دين أنتم عليه ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا فأقاموا أم تركوا فناموا سبيل مؤتلف وعمل مختلف قال أبياتا لا أحفظها قال أبو بكر رضى الله عنه أنا أحفظها يا رسول الله فقال هاتها فقال

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها * تمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى الى * ولا من الباقين غابر
أيقنت انى لا محاله * حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لأرجو أن يبعثه الله امة واحدة * واختم هذه الخاتمة المباركة بالأحاديث التى ختمت بها الكتب السبعة التى هى أصول الدين والاسلام وامهات الشريعة والأحكام تبركا وتيامنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفاؤلا وترجيا من الله حسن الختام وهى كتاب الموطأ للامام مالك بن أنس رحمه الله وكتاب الجامع الصحيح للامام محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله وكتاب الجامع الصحيح للامام مسلم بن الحجاج النيسابورى رحمه الله تعالى وكتاب السنن لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى رحمه الله وكتاب الجامع للامام أبى عيسى محمد بن سورة الترمذى رحمه الله وكتاب السنن للامام أبى عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائى رحمه الله وكتاب السنن للامام محمد بن يزيد بن ماجه رحمه الله وقد اجتمعت هذه الكتب المعظمة عندنا والحمد لله وذلك من فضل الله ومنه لا نحصى ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه غير ان الذى صار الينا من سنن النسائى هو المجتبى من السنن الكبيرة له خاتمة كتاب الموطأ عن محمد بن جبير بن مطعم رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب * خاتمة صحيح البخارى عن أبى زرعة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله

العظيم

لا زاوجل الباقين كيف لا يعتبرون بازواجل الماضين ونزل على قوم يعبدون الله وفيهم رجل نائم فقال له ياهذا قم اعبد ربك مع أصحابك فقال له قد عبدته بأفضل من عبادتهم زهدت فى الدنيا فقال له نم هنيئا فقد فقت العابدين أو كما قال وقال عليه السلام وقد سئل عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها واهتموا بآجل الدنيا حين اهتموا الناس بعاجلها وأماتوا منها ماخشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم فما عرض لهم من نائلها عارض الا رفضوه ولا خادعهم من رفعتها خادع الا وضعوه خلقت الدنيا عندهم فما يجددونها وخربت بينهم فلا يعمرونها وماتت فى صدورهم فلا يحيونها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ونظروا الى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلات فما يرون أمانا دون ما يرجون ولا خوفا دون ما يحذرون (آخر الخاتمة) وبه تكمل رسالة المذاكرة مع الاخوان المحبين من أهل الخير

العظيم * خاتمة صحيح مسلم عن قيس بن عبادة قال سمعت أباذر يقسم قسما ان هذان خصمان اختصموا في ربهم انها نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث رضى الله عنهم أجمعين وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة * خاتمة سنن أبي داود عن وهب بن منبه عن أخيه عن معاوية رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا تؤجروا فانى لأريد الأمر أؤخره كيما تشفعوا فتؤجروا خاتمة جامع الترمذى عن المقبرى عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أذهب الله عنكم الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقى وفاجر شقى والناس بنو آدم وآدم من تراب هذا حديث حسن وعن المغيرة بن أبي فروة السدوسى قال سمعت أنسا رضى الله عنه قال قال رجل يارسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل قال اعقلها وتوكل * خاتمة سنن النسائى عن الشعبى عن أم سلمة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال بسم ربى اعوذ بك أن أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على * خاتمة سنن ابن ماجه عن يزيد بن مريم عن أنس رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قول الله تعالى أولئك هم الوارثون * تمت خواتم هذه الكتب الشريفة من الأحاديث النبوية المنيفة وبتمامها تم الكتاب والله الهادى الى الحق والصواب ونسأله حسن الختام وحسن المآب وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

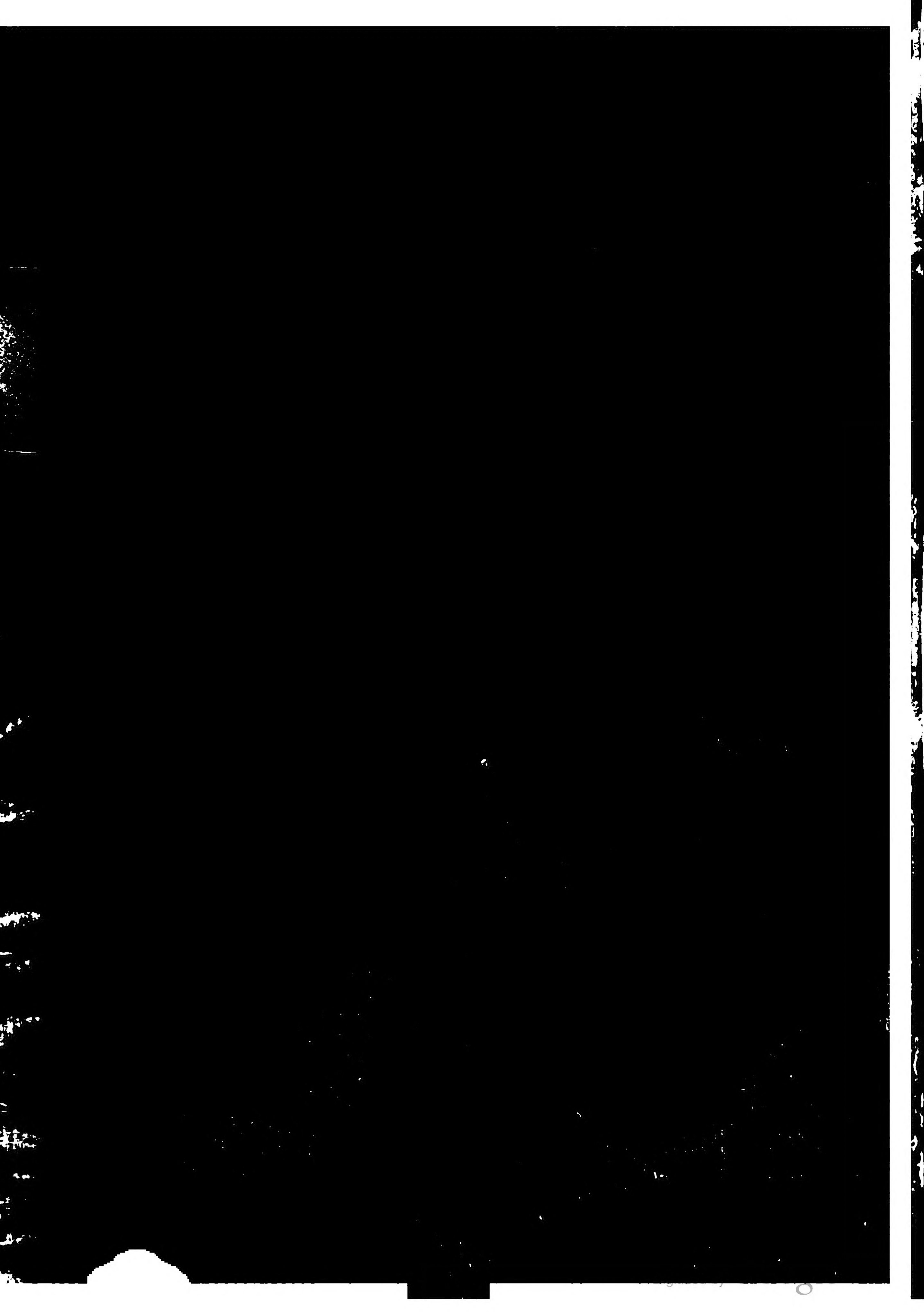
(قال مؤلفه)

وكان الفراغ من تأليفه بعون الله وتيسيره بكرة يوم الجمعة السابع او الثامن والعشرين من شهر المحرم سنة أربع عشرة ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية وعلى آله الطاهرين وأصحابه الأكرمين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين آمين

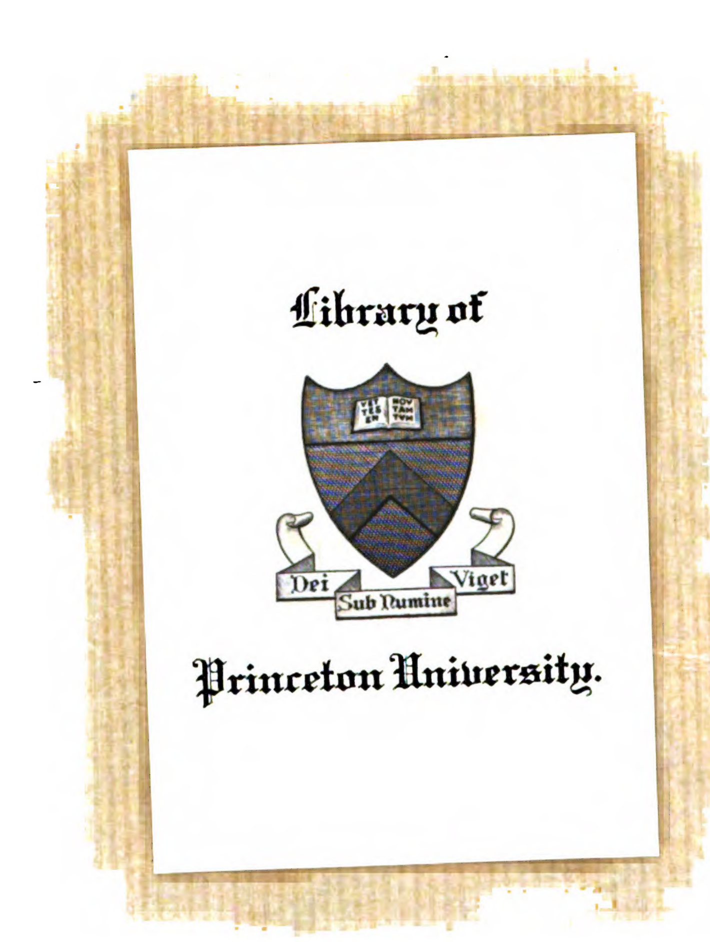
والدين وما سميتها بهذا الاسم الا لكونى وضعتها على سبيل المذاكرة معهم ألهمنى الله واياهم رشدنا ووقانا شر أنفسنا وكل ما أوردته فى هذه الرسالة من الاخبار والآثار نقلته من الكتب الصحيحة المعتمدة وقد تركت الفصل بين الأحاديث التى أوردتها فى صدر الخاتمة وصيرتها كأنها أربعة أحاديث أو خمسة وهى نحو من عشرين وما فعلت ذلك الا لكونى رأيته أوجز وأخصر وأقرب الى حصول الأثر والحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم الى يوم البعث والنشور وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وكان الفراغ من املاء الرسالة ليلة الخميس ثالث وعشرين من شهر شعبان أحد شهور سنة ١١٦٨ من الهجرة النبوية والحمد لله رب العالمين

بعد حمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على صاحب المعجزات سيدنا محمد القائل وما ينطق عن الهوى انما الأعمال بالنيات وعلى آله وأصحابه أهل المعرفة والكرامات فقد تم طبع الكتاب المسمى بالدعوة التامه والتذكرة العامه موشى الحواشى بالرسالة المسماة بالمذاكرة جزى الله مؤلفهما خيرا ووقاه شرا وضيرا على ذمة من خاطبته المعالى بلم فأنت سميرى الفاضل الحاج فدا محمد الكشميرى وذلك بالمطبعة العامرة العثمانيه التى فى مصر بحارة الفراخة بباب الشعريه ادارة مديرها ومنشيها الهمام الفائق الماجد الشيخ عثمان عبد الرازق ولاح بدر التمام وفاح مسك الختام فى أوئل جمادى الآخرة عام ثلاثمائة وأربعة بعد الالف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله عليه وسلم وعظم وشرف وكرم






Library of
Dei
Sub Numine
Viget
Princeton University.

